سورة النحل

مكية[1] إلا ثلاث آيات[2]

نزلت بين مكة والمدينة لما رجع النبي ﷺ من وقعة أحد، وكان عمه حمزة ﷺ قد قتل ومُثِّل به؛ فقال المسلمون لنُمَثِّلَنَّ بهم؛ فأنزل الله تعالى ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾[3] إلى آخرها[4]؛ قاله ابن عباس ﷺ.

---

(١) وبه قال أكثر المفسرين، نص عليه الثعلبي (٥٢/٦)، وممن قال به ابن عباس ﷺ نسبه إليه النحاس (٥١/٤) والسمرقندي (٢٧٧/٢)، وابن الجوزي (٣١١/٦)، ونص على أنها من رواية مجاهد وعطية وابن أبي طلحة عنه، ونسبه السمرقندي وابن الجوزي للشعبي، والقرطبي (٢٧٦/١٢) للحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وذكرها الزركشي في البرهان (١٩٣/١) في (ذكر ما نزل من القرآن في مكة) وفي (الآيات المدنيات في السور المكية) حيث نص على أنها مكية سوى آية منها، وكذلك السيوطي في الاتقان (٤١/١)، وفي غير هذا الموضع.

(٢) اختلفت أقوال المفسرين في عدد الآيات التي استثنيت من سورة النحل وما هي هذه الآيات؟ فممن قال ثلاث آيات ابن عباس ﷺ كما في معاني القرآن للنحاس (٥١/٤)، والنكت العيون (١٧٧/٣)، وزاد المسير (٣١١/٤)، وذكره غير واحد دون نسبة. وذكر ابن الجوزي (٣١١/٤) عن ابن عباس في رواية عنه أن الآيات الثلاثة هي ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ آية ٩٥ والآيتان بعدها، وقيل المستثنى أربع آيات كما في بحر العلوم (٢٧٧/٢) عن ابن عباس، وقيل خمس آيات كما في زاد المسير (٣١١/٤) عن قتادة، وفيه عن مقاتل إلا سبع آيات، إلى غير ذلك من الروايات الواردة في بيان المكي والمدني من السورة. أقول: وأكثر المفسرين على أن السورة مكية والمرجع في ذلك هم من عاصروا التنْزيل وهم صحابة رسول الله ﷺ؛ وعليه فلا بد من نقل صحيح في ذلك وإذ كان ذلك كذلك فما ادعي أنه مدني لا بد فيه من النقل الثابت عنهم، ولا يكفي في ذلك الاجتهاد والاستنباط في الحكم على بعض الآيات بأنها مستثناة تبعاً للضوابط التي وضعت للتمييز بين صفات السور المكية والمدنية. وسيأتي بيان الحكم على المروي في هذا آخر الأثر.

(٣) سورة النحل آية: ١٢٦.

(٤) قال السمعاني (٣١٠/٣): (أكثر أهل التفسير أن هذه الآية نزلت فيما فعله المشركون بحمزة وأصحابه ﷺ). وقال ابن عطية (٥٤٦/٨): (أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة ﷺ في يوم أحد). وقد جاءت بعض الروايات عن ابن عباس ﷺ دون استثناء كما في زاد المسير (٣١١/٤)، وعزاه السيوطي في =

وهذه السورة تسمى سورة النعم[1] لكثرة ما عدد[2] الله تعالى فيها من نعمه[3] على

=

الدر المنثور (١٢٣/٤) لابن مردويه عن ابن عباس، وجاء ذلك عن الحسن وعكرمة وعطاء كما في زاد المسير (٣١١/٤)، قال السمعاني (٢١١/٣): (وقد قال زيد بن أسلم والضحاك إن الآية مكية وليست في حمزة وأصحابه). والأصح هو الأول –أي أنها مدنية في شأن حمزة ومن معه– وأثر ابن عباس في سبب النُّزول أخرجه الطبراني في الكبير (٦٢/١١ /١١٠٥١) بسنده عن مقسم ومجاهد عن ابن عباس ﷺ بأطول من هذا، والشاهد فيه أن النبي ﷺ قال: "لئن ظفرت بقريش لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم فأنزل الله عز وجل في ذلك ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ وفيه أحمد بن أيوب بن راشد البصري، وأخرجه في الكبير أيضاً (٢٩٣٧/١٤٣/٣) عن أبي هريرة ﷺ والشاهد منه " ثم حلف وهو واقف مكانه؛ والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك فنَزل القرآن وهو واقف في مكانه لم يبرح بعد ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ حتى تختم السورة، وفيه صالح المري، وأخرجه الواحدي في أسباب النُّزول (ص٣٢٨) عن أبي هريرة من طريق صالح المري، وفي (ص٣٢٩) عن ابن عباس من طريق يحيى الحماني عن قيس عن ابن أبي ليلى عن الحكم به. وقد أخرجه غيره عنهما بنفس الأسانيد أو أضعف منها. وأخرجه الترمذي في سننه في كتاب التفسير باب ومن سورة النحل (الترمذي مع التحفة ٥٣٦/٨ /٣١٢٩) عن أبي بن كعب وفيه أن الآية نزلت بفتح مكة، وهذا اضطراب في المتن والله أعلم. وقد ضعف الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٠/٦) أثر ابن عباس بأحمد بن أيوب بن راشد البصري وقال عنه ابن حجر في التقريب (ص ١٧): (مقبول) وضعف –كذلك– الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩/٦) أثر أبي هريرة ﷺ بصالح المري، وابن كثير (٦١٤/٢)، والحافظ في فتح الباري (٣٧١/٧)، وقال عنه في التقريب (ص٢١٢): (ضعيف)، وقال الترمذي عن أثر أُبَيّ ﷺ المتقدم (٥٣٧/٨): (حسن غريب)، وصححه الحاكم في المستدرك (٣٥٩/٢) ووافقه الذهبي، قال الألباني (وهو كما قالا)، أقول: وفي رواية الحاكم ما في رواية الترمذي وهو كون الآية نزلت بفتح مكة، قال ابن حجر في فتح الباري (٣٧٢/٧) –بعد ذكر الطرق عن الثلاثة الصحابة–: (وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً)، وقال الألباني: (وسبب نزول الآية السابقة في هذه الحادثة صحيح) انظر: السلسلة الضعيفة (٢٦/٢–٢٨ /٥٤٨–٥٥٠).

(١) نص عليه مكي (٣٩٤٤/٦)، والسمعاني (١٥٨/٣)، والزمخشري (٣٢١/٢) وغيرهم، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٤١/٤) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن جرير عن قتادة، وذكره أسعد الطيب في تحقيقه لابن أبي حاتم (٢٢٩٥/٧) ولم أجده عند الطبري، وقال ابن الجوزي (٣١١/٤): (وروى حماد عن علي بن زيد قال: كان يقال لسورة النحل سورة النعم يريد لكثرة تعداد النعم فيها).

(٢) في (ك): عدَّ.

(٣) في (ك): النعم.

خلقه./ [٤٠٢]

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾[١] أي سيأتي أمر الله الذي وعد به خلقه؛ وهو قيام الساعة. ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ خطاب للمشركين الذين يستبعدونه ويكذبون به. وقد ورد في كتاب الله [تعالى][٢] الماضي بمعنى الاستقبال كثيراً[٣]، مثل: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ﴾[٤] وما ذلك إلا لصدق المخْبِرِ سبحانه وعلمه بالغيوب، فأما في كلام الناس فلا[٥] يجوز ورود الماضي بمعنى الاستقبال إلا في الشرط، قاله[٦] سيبويه[٧]، وقيل معناه: سيحل بالمشركين عذاب؛ لأنهم كانوا استعجلوا استعجلوا العذاب في قولهم ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ﴾[٨]، وقيل معنى الآية: أتى أمر الله ونهيه في كتابه المنَزل وهو القرآن؛ قاله الضحاك[٩]، وقيل معناه:

---

(١) سورة النحل آية: ١.

(٢) ساقط من (ك).

(٣) في (غ): كثير.

(٤) سورة الأنعام آية: ٢٧، ٣٠.

(٥) في (ك): ما لا.

(٦) في كلا النسختين: في الشر قال، وهو تحريف والصواب ما أثبت.

(٧) ذكره النحاس في إعراب القرآن (٣٩١/٢)، ولم أهتد إلى موضعه في الكتاب. وسيبويه هو عمرو بن بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، ويقال: أبو الحسن، ولقبه سيبويه، أخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، وأبي الخطاب الأخفش الكبير وغيرهم، من مؤلفاته: كتابه المشهور الذي يسمى الكتاب، مات سنة ١٨٠هـ، وقيل: ١٨٨هـ. انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي (٢١٢٢/٥)، وسير أعلام النبلاء (٣٥١/٨)، وبغية الوعاة للسيوطي (٢٢٩/٢).

(٨) سورة الأنفال آية: ٣٢. قريباً منه ذكر الثعلبي (٦/٦)، والبغوي (٨/٥).

(٩) أخرجه الطبري (٥٥٦/٧) عن الضحاك من طريق جويبر، وذكره النحاس (٥٢/٤) ومكي (٣٩٤٥/٦)، وقد ضعفه الطبري (٥٥٧/٧) بقوله: (لم يبلغنا أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ استعجل فرائض قبل أن تفرض عليهم فيقال لهم من أجل ذلك: قد جاءتكم فرائض الله فلا تستعجلوها، وأما مستعجلو العذاب فقد كانوا كثيراً) وكذلك الثعلبي (٦/٦)، واستبعده ابن عطية (٣٦٥/٨)، ووصفه ابن كثير (٥٨١/٢) بالعجيب، ونقل قول الطبري في تضعيفه واستدل له بقوله تعالى: ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ =

معناه: أتت أشراط الساعة مثل قوله تعالى ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾[1]. ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي: تنْزيهاً له ﴿وَتَعَالَىٰ﴾ أي: تعاظم وتبارك وتكبر عن أن يكون له شريك.

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾[2] أي: بالوحي الذي به حياة القلوب ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ أي: ينَزل

=

يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾ [الشورى آية ١٨]. والضحاك هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، حدث عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – ، وحدث عنه عمارة بن أبي حفص، وأبو سعيد البقال، توفي سنة ١٠٢هـ، وقيل: سنة ١٠٥هـ، وقيل: ١٠٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٩٨/٤)، وطبقات المفسرين للداودي (٢٢٢/١).

(١) سورة محمد ﷺ آية: ١٨. ذكره مكي (٣٩٤٧/٩)، وابن الجوزي (٣١٢/٤) ونسبه لابن الأنباري. ولا يبعد؛ فإن تقرر أن المراد بأمر الله ما وعدهم من العذاب على تكذيبهم فهو شامل لما في الدنيا كالأخذ بالسنين والقتل في بدر ونحو ذلك وما في الآخرة مما أعده الله لمن ذلك حاله فيصدق على أشراط الساعة إذ هي مقدمات الحياة التي يكون فيها الوعيد، ويدل له ما أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب قول النبي ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين» من حديث سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بأصبعيه فيمدهما» (البخاري مع الفتح ٦٥٠٣/٣٤٧/١١). والخلاصة مما تقدم أن الأمر يراد به الشأن وهو لفظ عام يراد به الأقوال والأفعال قال تعالى ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود آية: ١٢٣]، المفردات للراغب (ص٣٤) مادة (أمر)، خصص السياق منه ما استعجله المشركون وما ثبت أنهم استعجلوه إنما هو العذاب كما في قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال آية: ٣٢]، ونص عليه جمع من المفسرين، وثبت استعجالهم للساعة كما في قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى آية: ١٨]. وجاء الأمر في القرآن مراداً به العذاب الدنيوي كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس آية: ٢٤]؛ وعليه فقوله تعالى ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ﴾ شامل لقول من قال المراد بالأمر العذاب بنوعيه الدنيوي والأخروي والساعة وأشراطها، والله تعالى أعلى وأعلم.

(٢) سورة النحل آية: ٢.

الوحي الذي يفهم منه أمره، وقيل تقديره: بأمره[1]؛ فمعناه: أنهم ينْزلون بأمر الله على من يشاء من عباده، أي: الرسل -عليهم السلام- . وعن ابن عباس ﷺ: أن الروح خَلْقٌ من خَلْقِ الله تعالى على صور بني آدم، لا ينْزل من السماء ملك إلا ومعه واحد منهم[2]. ﴿أَنْ

---

(١) قاله ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص٥٧٤)، والقرطبي (٢٦٩/١٢)، وعليه فـ﴿مِنْ﴾ للسببية قال أبو السعود (٢٤٤/٣): (أو متعلق بـ﴿يُنَزِّلُ﴾ و﴿مِنْ﴾ للسببية كالباء مثل "ما" في قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ﴾ [نوح آية: ٢٥] أي: ينَزلهم بأمره).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة في صفة الروح (٤٠٤/٨٦٥/٣) بسنده من طريق هشيم عن جعفر بن إياس عن مجاهد عن ابن عباس، والبيهقي في الأسماء والصفات في باب ما جاء في تفسير الروح (٧٧٩/٢١٨/٢) بسنده من طريق عن هشيم به، وذكره النحاس (٥٣/٤) من طريق هشيم به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٢٣/٤) لآدم بن أبي إياس وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردوية والبيهقي. أقول: وفي سند البيهقي وأبي الشيخ والنحاس عنعنة هشيم بن بشير، ورواية جعفر بن إياس أبي بشر عن مجاهد ضعفها شعبة وقال: (إنه لم يسمع منه) كما في تهذيب التهذيب لابن حجر (٤٧/٧) وغيره، قال ابن حجر في الفتح (٤٠٢/٨): (وقد روى ابن إسحاق في تفسيره بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: الروح من الله وخلق من خلق الله وصور كبني آدم، لا ينْزل ملك إلا ومعه واحد من الروح)، والأقرب أن الروح مما استأثر الله بعلمه؛ ويدل لذلك ما ورد في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء آية: ٨٥]. (البخاري مع الفتح ٤٧٢١/٤٠١/٨). والأقرب أن المراد بالروح هنا الوحي، وإنما سمي روحاً على سبيل الاستعارة؛ لأن فيه حياة الأرواح؛ كما أن الغذاء به حياة الأجساد. ومما يدل على أن المراد بالروح هنا الوحي السياق والشواهد القرآنية وبيانه مجيء قوله: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ﴾ بعد قوله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾، والإنذار إنما يكون بالوحي لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾ [الأنبياء آية: ٤٥]، وكذلك مجيء ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ بعد قوله: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر آية: ١٥]، انظر: أضواء البيان (٢١٠/٣).

﴿أَنذِرُوٓاْ﴾أي: ينَزل الوحي على الرسل أن حذروا الناس بأني أنا الإله الواحد ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ ولا تشركوا بي. وفي الأمر بالتوحيد نهي عن الشرك وتحذير من عقوبته؛ فلذلك سمي هنا إنذاراً.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ﴾[1] الألف واللام في الإنسان هنا للجنس. ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾أي: مخاصم يبين خصومته بمنطقه ويقول: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾[2] فالإنسان هنا: كل منكر للبعث، والمراد بالخصيم هنا: كل منكر للبعث، وقيل: هو أبي بن خلف[3]، ثم هي في من كان مثله[4].

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ﴾[5] أي: لباس يصنع من الصوف والشعر وغيره يتدفّون به من البرد؛ قاله ابن/عباس رضي الله عنهما[6]. ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ أي: ولكم منافع في ركوبها وألبانها [٤٠٣] ﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ أي: من لحومها.

﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ﴾[7] أي: تتجملون بها وقت مجيئكم بها [من[8] مراعيها][9] إلى

---

(١) سورة النحل آية: ٤.

(٢) سورة يس آية: ٧٨.

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النُّزول (ص ٣٢٢) دون سند، والسمرقندي (٢٧٨/٢)، والثعلبي (٧/٦).

(٤) لقاعدة (العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب)، وصححه البغوي (٩/٥) قائلاً: (والصحيح أن الآية عامة)، قال الطبري (٥٥٩/٧): (وعني بالإنسان جميع الناس، أخرج بلفظ الواحد وهو في معنى الجميع). أقول: ويدل له صيغة العموم (الإنسان).

(٥) سورة النحل آية: ٥.

(٦) لم أقف عليه لابن عباس بهذا اللفظ، والذي عنه عند الطبري (٥٥٩/٧) من طريق علي بن أبي طلحة والعوفي أن المراد بالدفء: الثياب، وقريب مما ذكره المصنف عن الحسن عند الجصاص (٢٣٨/٣)، والماوردي (٧٩/٣)، والسمعاني (١٥٩/٣) أن المراد بالدفء: ما استدفئ به من أوبارها وأصوافها وأشعارها.

(٧) سورة النحل آية: ٦.

(٨) في (غ): في؛ وهو تحريف.

(٩) ساقطة من (ك).

مُراحها[1] ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [بها][2] غدوة إلى مراعيها، والمراح: الذي تأوي إليه الغنم بالليل[3]، والمسْرح: موضع الرعي[4]، يقال: أرحت الغنم وراحت هي[5]، وسرَّحْت الغنم وسرَحَت هي؛ لازم ومتعد[6].

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾[7] هذا في الإبل خاصة[8]، أي: وتحملون أثقالكم على بعض الأنعام وتركبونها فتبلغون بها إلى البلاد البعيدة التي لا تبلغونها مشاةً إلا بمشقة عظيمة تتحملها نفوسكم[9]، والشِّق هنا: المشقة كأنه نقص شق من البدن[10]، وقرئت بالفتح[11] فهو مصدر وبالكسر اسم[12]. وقيل معنى الأثقال هنا: أجساد بني آدم[13]، فمعناه:

---

(١) ذلك أنها أعجب ما تكون إذا راحت عظاماً ضروعها طوالاً أسنمتها. كما أخرجه ابن جرير الطبري الطبري في جامع البيان (٥٦١/٧) عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة.

(٢) ساقط من (ك).

(٣) انظر: مادة (روح) في معجم مقاييس (٤٥٥/٢)، ولسان العرب (٣٦٣/٥)، والقاموس المحيط (ص٢٨٢).

(٤) انظر: مادة (سرح) في لسان العرب (٢٣٠/٦)، والقاموس المحيط (ص٢٨٦).

(٥) انظر: الأفعال لابن القطاع ٦٣/٢ مادة (روح).

(٦) انظر: الأفعال لابن القطاع (١٤٤/٢) مادة (سرح)، وانظر: جامع البيان (٥٦٠/٧) في معنى ﴿حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾.

(٧) سورة النحل آية: ٧.

(٨) قال ابن العربي (١١٤٣/٣): (قد مَنَّ الله علينا بالأنعام عموماً، وخص الإبل ههنا بالذكر في حمل حمل الأثقال تنبيهاً على ما تتميز به على سائر الأنعام).

(٩) في (ك): أنفسكم.

(١٠) انظر: المفردات للراغب (ص٢٦٧) مادة (شق) بلفظ مقارب، ومعاني القرآن للفراء (٩٧/٢).

(١١) وهي قراءة أبي جعفر من العشرة، انظر النشر لابن الجزري (٣٠٢/٢).

(١٢) انظر معاني القرآن للفراء (٩٧/٢)، وإتحاف فضلاء للبنا (١٨١/٢).

(١٣) ذكره مكي (٣٩٥٢/٦) وصدَّره بقيل، والزمخشري (٣٢٢/٢)، وابن عطية (٣٧٢/٨). واستدلوا بقوله تعالى ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ الزلزلة آية: ٢، وبأن الثقلين يطلق على الجن والإنس، وشاهده ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ الرحمن آية: ٣١، قال ابن عطية: (واللفظ يحتمل المعنيين)، وقال =

تحملكم على ثقل أجسامكم، وليس البلد في هذه الآية موضعاً معيناً[1]، وإنما المراد به جميع الأسفار الصعبة.

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾[2] هذه للركوب والتجمل بها، ولم يذكر فيها الأكل كما ذكر في الأنعام، فهو[3] دليل على أن الخيل لا تؤكل[4]. ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا

=

ابن فارس (٣٨٢/١) مادة (ثقل) (وأثقال الأرض كنوزها في قوله تعالى ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ الزلزلة آية: ٢، ويقال هي أجساد بني آدم قال الله تعالى ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ آي: أجسادكم).

(١) في كلا النسختين (موضع معين) وهو خطأ. ذكره الماوردي (١٨٠/٣)، والسمعاني (١٦٠/٣) ولم ينسباه لأحد، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣١٤/٤) وقال: (وهو قول الأكثر). أقول: والذين خصصوه بمكة أو بالشام واليمن إنما خصصوه لأن الخطاب لكفار قريش. وتخصيص البلد بمكة أخرجه الطبري (٥٦١/٧) عن عكرمة، ونسبه ابن عطية (٣٧٣/٨) لعكرمة وابن عباس والربيع بن أنس. قال علي الخازن (١٠٧/٣): (وإنما قال ابن عباس هذا القول لأنه خطاب لأهل مكة وأكثر تجاراتهم وأسفارهم إلى الشام واليمن، وحمله على العموم أولى لأنه خطاب عام فدخول الكافَّةِ فيه أولى من تخصيصه ببعض المخاطبين)، وقال أبو حيان (٤٧٦/٥): (وينبغي حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على المراد إذ المنة لا تختص بالحمل إليها).

(٢) سورة النحل آية: ٨.

(٣) في (ك) وهو.

(٤) وهو مروي عن ابن عباس كما عند ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الأطعمه باب ما قالوا في لحوم البغال (٥٤٠/٥) عن مولى نافع بن علقمة (قيس بن سعد المكي) أن ابن عباس كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير وكان يقول: (قال الله جل ثناؤه ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ فهذه للأكل ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ فهذه للركوب). وأخرجه الطبري (٦٥٣/٧) في روايات أخرى عنه، ونقل الكراهة ابن عبد البر في التمهيد (١٢٧/١٠)، وابن العربي (١١٤٤/٣) عن مالك وبه قال أبو حنيفة واختلف فيها عنه فقيل: كراهة تحريم وقيل: كراهة تنزيه، انظر احكام القرآن للجصاص (٢٣٩/٣)، ونتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار لقاضي زادة أفندي (٤٢١/٨)، وانظر فتح الباري لابن حجر (٦٥٠/٩)، ونص على حلها الشافعي كما في الحاوي الكبير للماوردي (١٦٨/١٩) وأحمد كما في المغني لابن قدامة (٣٢٤/١٣)، وهو قول الجمهور من الفقهاء والمحدثين كما في الجامع لأحكام القرآن ٢٨٢/١٢).

=

﴿تَعْلَمُونَ﴾ أي: يخلق أشياء لم تعرفوها؛ وهو: كل ما خلقه الله تعالى مما لم يطلع عليه بنو آدم؛ من ذلك ما أعد الله تعالى في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر. وروى[1] وهب بن منبه حديثاً يرفعه " إن لله ثمانية عشر عالماً؛ الدنيا منها عالم واحد، وإن لله في الدنيا ألف أمة سوى الإنس والجن والشياطين، أربعمائة في البر وستمائة في البحر"[2]. وروي " أن نهراً من نور عن يمين العرش مثل السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبع، يدخل فيه جبريل عليه السلام [كل][3] وقت سحر فيغتسل فيه فيزداد نوراً وجمالاً، ثم ينتفض؛ فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع منه كذا كذا ألف ملك، يدخل منهم سبعون ألفاً البيت المعمور، وسبعون ألفاً الكعبة، ثم لا يعودون إليهما أبداً"[4] وتصديقه ﴿وَمَا يَعْلَمُ

=

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أوجه الاستدلال من الآية على حرمة لحوم الخيل ونقضها في الفتح (٩/٦٥٢-٦٥٣) فراجعه.

(١) في (ك) روى.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة في باب صفة مَنْ آخرُ الخلقِ وسعةِ الأرض (٤/١٤٢٨/٩٤٦) بسنده من طريق عبد المنعم بن إدريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه، ولفظه (إن لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم؛ الدنيا منها عالم واحد، وإن الله عز وجل خلق في الأرض ألف أمة سوى الإنس والجن والشياطين ويأجوج ومأجوج؛ أربعمائة في البر وستمائة في البحر) وعبد المنعم يضع الحديث على أبيه وغيره كما في المجروحين لابن حبان (٢/٨٤)، وإدريس ضعفه ابن معين كما في الكامل لابن عدي (١/٣٦٦)، وقال عنه الدارقطني متروك كما في تهذيب التهذيب لابن حجر (٣/١٨٦)؛ وعليه فالأثر ضعيف السند، وظاهره أنه مما يروى عن بني إسرائيل.

(٣) ساقط من (ك).

(٤) ذكره الثعلبي (٦/٩) بقوله: وروى مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس.... وفي سنده كما هو ظاهر مقاتل بن سليمان وانقطاع بين الضحاك وابن عباس. ولم أقف على من أسنده، وذكره جمع من أهل التفسير كالرازي (٧/١٧٨) بقوله وروى عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس... ومثله ابن عادل في اللباب في علوم الكتاب (١٢/١٨)، والشربيني في السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٢/١٧١) وغيرهم.

جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾[1].

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2] أي: بيان طريق الحق[3]، والقصد هنا: الاستقامة[4]؛ ومعناه: إلى الله بيان الحق؛ يبين بفضله ورحمته طريق الحق لعباده، وقيل معناه: أن الطريق التي توصل إلى الله هي طريق التوحيد[5]/، وقال ابن عباس ﷺ: قصد السبيل: تبيين الهدى[6]. [٤٠٤]

﴿ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾أي: ومن السبيل ما هو جائر، أي: خارج عن الحق؛ وهو: كل اعتقاد غير التوحيد والإسلام. وقرأ ابن مسعود ﷺ: (ومِنْكُمْ جِآئِر)[7]. ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ ﴾ أي: لو لو شاء لوفقكم كلكم وجعل في قلوبكم الإيمان.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ ﴾[8] تشربونه ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾ أي: وينبت بسبب الماء شجر ﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ أي: ترعون أنعامكم. والسائمة: الراعية؛ لأنها تسم الأرض؛ أي: تؤثر فيها برعيها[9].

---

(١) سورة المدثر آية: ٣١.

(٢) سورة النحل آية: ٩.

(٣) على حذف المضاف؛ كما في الجامع لأحكام القرآن (٢٩٠/١٢).

(٤) هذا في أصل معناه قال ابن فارس (٩٥/٥) مادة (قصد): (القاف والصاد والدال أصول ثلاثة يدل أحدها على إتيان شيء وأَمِّهِ.... ومن الباب أقصده السهمَ إذا أصابه فقتله، وكأنه قيل ذلك لأنه لم يحد عنه)، قال الراغب في المفردات(ص٤٠٥) مادة (قصد): (القصد استقامة الطريق). قال ابن كثير (٢/ ٥٨٤): (﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ كقوله ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾) الأنعام آية: ١٥٣.

(٥) لم أقف على من ذكره أو قال به فسبحان من لا يخفى عليه شيء.

(٦) أخرجه الطبري (٥٦٤/٧) من طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ (﴿ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ البيان)، ومن طريق العوفي بلفظ: (على الله البيان أن يبين الهدى والضلالة)، وهو مروي عن قتادة من طريق سعيد ابن أبي عروبة كما في جامع البيان (٥٦٥/٧).

(٧) أخرجها عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٦/٢)، والطبري (٧٦٥/٧).

(٨) سورة النحل آية: ١٠.

(٩) فيبقى أثراً ومعلماً بالمكان. انظر معجم مقاييس اللغة (١١٠/٦) مادة (وسم)، والمفردات للراغب =

﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ﴾[1] أي: بالماء زرعاً ونباتاً وثماراً.

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[2]أي: وسخر لكم ما خلق في الأرض من الدواب والنبات ﴿ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓ ﴾أي: أنواعه.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا ﴾[3]وهو السمك. ﴿ وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا ﴾أي: ما تتجملون به من الحلي كاللؤلؤ والمرجان ونحوه. ﴿ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾أي: وترى السفن [جواري][4] تشق الماء، والمِخْرُ في اللغة: الشق، يقال مخرت السفينة الماء؛ أي: شقته ولها صوت[5]. وقيل مواخر: موقرة بالأحمال[6]، وقيل: معترضة[7]، وقيل: مقبلة ومدبرة[8]. ﴿ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾أي: وتركبون السفن لتطلبوا فضل الله في

=

(ص ٥٣٩) مادة (وسم).

(١) سورة النحل آية: ١١.

(٢) سورة النحل آية: ١٣.

(٣) سورة النحل آية: ١٤.

(٤) ساقط من (ك).

(٥) انظر معجم مقاييس اللغة (٣٠٣/٥ ٤٤/١٣)، ولسان العرب مادة (مخر). وفي تهذيب اللغة (٣٨٧/٧) مادة (مخر) عن أحمد بن يحيى قال: (الماخرة السفينة التي تمخر الماء أي: تدفعه بصدرها).

(٦) قاله الحسن؛ أخرجه عنه الطبري (٥٦٨/٧) ونسبه إليه الثعلبي (١١/٦) والماوردي (١٨٢/٣).

(٧) قاله أبو صالح؛ أخرجه عنه الطبري (٥٦٩/٧)، ونسبه الثعلبي (١١/٦) لسعيد بن جبير، والماوردي (١٨٢/٣) لأبي صالح.

(٨) قاله قتادة؛ أخرجه عنه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٦/٢)، وعنه وعن الحسن الطبري (٥٧٩/٧). ومعنى مقبلة ومدبرة أي: (تذهب وتجيء). ذكره النحاس في معاني القرآن (٥٩/٤) عن الضحاك.

أقول: والأقرب المعنى الأول وهو: شق السفينة للماء بجؤجئها لأمرين:

الأول: أصل المخر في اللغة الشق كما تواتر في معاجم اللغة.

الثاني: لفظ (مواخر) حال من الفلك.

وعليه فينتفي قول من جعله صوتاً للريح وإن كان جاء ذلك في اللغة غير أنه مراد به هنا الفلك كما =

أرباح التجارة.

﴿وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا﴾[1] أي: وجعل في الأرض أنهاراً للشرب ﴿وَسُبُلًا﴾: أي: طرقاً سهلها للأسفار. ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾في سيركم بمعرفة الطرق إلى المواضع التي تقصدونها.

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾[2]أي: وجعل في الأرض علامات بالنهار، وهي معالم الطرق كالجبال وغيرها ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: بالليل يعرفون الطرق بالنجوم؛ قاله ابن عباس رضي الله عنه[3]، وقيل النجم هنا: الجدي الذي مع الفرقدين في ناحية الشمال[4]. والصحيح أنه النجوم كلها[5]

=

نص عليه الطبري (٥٦٩/٧) وابن عطية (٣٨٦/٨). وقول ابن جرير صوت جري السفينة بالريح لا ينافي كون المخر للفلك؛ والأصل جريها بدفع الرياح لها وكلما اشتدت الريح كان المخر أقوى والصوت أعلى والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) سورة النحل آية: ١٥.

(٢) سورة النحل آية: ١٦.

(٣) أخرجه الطبري (٥٧١/٧) من طريق عطية العوفي.

(٤) قال الفراء (٩٨/٢): (يقال الجدي والفرقدان)، ونسبه إليه مكي (٣٩٦٧/٦)، والسمعاني (١٦٤/٣)، وقال الطبري (٥٧٢/٧): (وأن يكون النجم الذي يهتدى به ليلاً هو الجدي والفرقدان؛ لأن بها اهتداء السفر دون غيرها من النجوم)، وذكره الثعلبي (١٢/٦)، والبغوي (١٣/٥) ونسبه للسدي غير أنه زاد الثريا وبنات نعش، وبه قال السمرقندي (٢٨١/٢). ونص الماوردي على علة هذا القول (١٨٣/٣) قائلاً: (لأنه [أي الجدي] أثبت النجوم كلها في مركزه).

(٥) فالتعبير بالنجم الواحد إشارة إلى الجنس كما في النكت والعيون (١٨٣/٣). قال الزجاج (١٥٧/٣): (النجم والنجوم في معنى واحد كما تقول: كثر الدرهم في أيدي الناس وكثرت الدراهم)، ونص النحاس ٦١/٤) بعد أن ذكر قول الفراء بأن (الذي عليه أهل التفسير وأهل اللغة سواه؛ أن النجم ههنا بمعنى النجوم) وصوبه ابن عطية (٣٩١/٨)، والثعالبي في الجواهر الحسان (٤١٤/٣). أقول: ويمكن الجمع بأن ما نص عليه هو أكثر ما يهتدى به لثباته في مركزه أكثر من غيره، ويهتدى بغيره كما هو واقع الحال في الثريا ونحوها ولدلالة اللفظ على الجنس والله تعالى أعلى وأعلم.

وقال قتادة[1]: خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: زينة للسماء، ويهتدى بها في الأسفار وغيرها، ومنها رجوم للشياطين، فمن ادعى فيها علماً آخر فقد سفه رأيه وأخطأ وتكلف ما لا علم له به[2].

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ ﴾[3] وهو الله تعالى ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ وهو كلما يعبد من دون الله، وهذا توبيخ للمشركين . ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: تتذكرون فتعلمون أن الخالق هو المستحق للعبادة وحده.

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾[4] أي: الأصنام؛/جمادات لا حياة لها، فكيف تعبد؟. ﴿ وَمَا [٤٠٥] يَشْعُرُونَ ﴾ أي: ما تعلم[5] الأصنام ﴿ أَيَّانَ ﴾ أي: متى ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ والضمير في يشعرون للأصنام، وفي يبعثون للكفار[6]، وقيل: الضميران للكفار[7].

---

(١) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه، روى عن أنس بن مالك ﷺ، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري وغيرهم، وروى عنه أيوب السختياني، وشعبة بن الحجاج، والأوزاعي وغيرهم، مات سنة ١١٨هـ، وقيل: ١١٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٩/٥)، وطبقات المفسرين للداودي (٤٧/٢)، وطبقات المفسرين للأدنوي (ص١٤).

(٢) أخرجه الطبري (٥٧٤/٧) بلفظ مقارب من طريق سعيد بن أبي عروبة، وذكره البخاري في صحيحه تعليقاً بصيغة الجزم في كتاب بدء الخلق باب في النجوم (البخاري مع الفتح ٢٩٥/٦).

(٣) سورة النحل آية: ١٧.

(٤) سورة النحل آية: ٢١.

(٥) في (ك) يعلم.

(٦) قاله مكي (٢٩٧٠/٦)، وذكره السمعاني (١٦٥/٣).

(٧) ذكره الفراء (٩٩/٢)، والطبري (٥٧٤/٧)، ومكي (٣٩٧٠/٦) وغيرهم. والأقرب أنه للأصنام؛ لأن السياق في ذكر بعض أوصاف العجز المثبتة عدم استحقاقهم للإلهية ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ فإن قلت عبر عنهم بما يعبر به عن الآدميين فالجواب (لأنهم زعموا أنها تعقل عنهم وتعلم وتشفع لهم عند الله تعالى فجرى خطابهم على هذا) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٠٩/١٢)، وأشار الثعلبي إلى هذا (١٩٧/٥) والقاعدة في هذا (أن العرب تخبر عن غير العاقل بخبر العاقل إذا نسبت إليه شيئاً من أفعال العقلاء)، انظر قواعد التفسير لخالد السبت (٣٠٧/١)، وقاعدة (إذا تعاقبت الضمائر فالأصل أن =

﴿ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ ﴾[1] أي: جاحدة لنعم الله وتوحيده ﴿ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن اتباع الحق. روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: " من سجد لله سجدة فقد برئ من الكبر"[2].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم ﴾[3] أي: وإذا قال أحد المشركين[4] ما الذي أنزل على محمد ﴿ قَالُوٓاْ ﴾إنما هو ﴿ أَسَٰطِيرُ ﴾ مما سطره الأولون، قال ابن عباس ﷺ: هذا قول النضر بن الحارث[5]، وقال قتادة: هذا قول قوم كانوا يقعدون بطريق مكة فيسألهم من يمر بهم عن القرآن؛ فيقولون إنما هو أساطير الأولين[6].

﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم ﴾[7] أي: أوزار

=

يتحد مرجعها) انظر قواعد التفسير لخالد السبت (٤١٤/١) وقواعد الترجيح لحسين الحربي (٦١٣/٢)، والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) سورة النحل آية: ٢٢.

(٢) لم أقف عليه مسنداً مرفوعاً. وذكره الثعلبي (١٧٠/٤)، ومكي (٣٩٧٢/٦) بلفظ (برئ من الكفر)، وابن عطية (٣٩٧/٨)، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال برقم (١٩٠١٧) ونسبه للديلمي عن ابن عباس، ولم أجده في مسند الفردوس للديلمي، وأسنده ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٢٦/٨) عن يحي بن جعدة ولفظه (إذا سجد [وفي رواية] إذا وضع الرجل جبهته فقد برئ من الكبر)، وأبو نعيم في الحلية (٦١/٥) عن حبيب بن أبي ثابت قال: (من وضع جبينه لله تعالى فقد برئ من الكبر).

(٣) سورة النحل آية: ٢٤.

(٤) في (ك) للمشركين.

(٥) ذكره ابن عطية (٣٩٧/٨) ضمن سبب وصدره بـ: (يقال)، والقرطبي (٣١١/١٢ وصدره بـ: (قيل)، والثعالبي في الجواهر الحسان (٤١٥/٣) وصدره بـ: (يقال)، والشوكاني (٢١٦/٣) وصدره بـ: (قيل). ولم ينسبوه إلى ابن عباس. والنضر هو النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، قتل يوم بدر كافراً. انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص١٢٦).

(٦) أخرجه الطبري (٥٧٤/٧- ٥٧٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة بلفظ قريبٍ منه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣٠/٤) لابن أبي حاتم.

(٧) سورة النحل آية: ٢٥.

أنفسهم وأوزار من أضلوه. واللام في ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ ﴾لام كي[1]، وقيل: لام الأمر[2]. وقال زيد بن أسلم[3]: بلغني أنه يمثل للكافر عمله يوم القيامة أقبح ما يكون وجهاً وأنتنه ريحاً، فيجلس إلى جنبه كلما خاف شيئاً زاده خوفاً، فيقول: بئس الصاحب أنت، فمن أنت؟ فيقول: أنا عملك فتطأطأ لي حتى أركبك مقدار ما ركبتني في دار الدنيا، فيركبه فذلك قوله تعالى ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةً ﴾[4] الآية.

﴿ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾[5] أي: من قبل هؤلاء المشركين؛ وذلك ما ذكر من من مكر نمرود حين بنى الصرح ليصل به إلى السماء؛ قاله ابن عباس ﷺ وغيره[6]. قال

---

(١) وعليه فمتعلقها أحد أمرين:

الأول: فعل مقدر تقديره: قدر هذا ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ ﴾ قاله ابن عطية (٣٩٨/٨).

الثاني: متعلق بـ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ والتقدير: (قالوا هذه المقالة لكي يحملوا أوزارهم كاملة لم يكفر منها شيء لعدم إسلامهم الذي هو سبب لتكفير الذنوب) قاله الشوكاني (٢١٧/٣).

(٢) ذكره مكي (٣٩٧٣/٦)، والكرماني في غرائب التفسير وعجائب التأويل (٦٠٤/١). وعليه فالكلام تام عند قوله تعالى ﴿ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ وابتدئ ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ ﴾ ومعناه تهديد ووعيد لهم، وحتم عليهم بذلك، والصغار مُوجَبٌ لهم. انظر الهداية (٣٩٧٣/٧)، والمحرر الوجيز (٣٩٨/٨)، والدر المصون (٢٠٧/٧).

(٣) هو أبو عبد الله العدوي العمري المدني الفقيه، حدث عن والده أسلم، وعبد الله بن عمر، وأنس بن بن مالك وغيرهم، حدث عنه مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة وغيرهم، له تفسير رواه عنه ابنه عبد الرحمن، مات سنة ١٣٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٣١٦/٥)، وطبقات المفسرين للداودي (١٨٢/١).

(٤) أخرجه الطبري (٥٧٦/٧) بسنده عن رجل عن زيد بن أسلم أنه بلغه... ، وكما هو ظاهر فيه مبهم وبلاغ زيد.

(٥) سورة النحل آية: ٢٦.

(٦) أخرجه الطبري (٥٧٧/٧) من طريق العوفي. وقال به زيد بن أسلم والسدي كما في جامع البيان (٥٧٦/٧-٥٧٧)، ومجاهد كما في معاني القرآن للنحاس (٦٣/٤)، وهو قول الأكثر من المفسرين كما قال الرازي (١٩٨/٧). اقول: وهذا وما سيأتي في ثنايا هذه الآية من ذكر النمرود وما جاء في كتب التفسير إنما هو من قبيل الإسرائيليات ولم تثبت بأسانيد يحتج بها عن معصوم والله تعالى أعلى =

السدي[1]: أخذ النمرود نسرين عظيمين وربط عليهما تابوتاً وركب فيه ليصعد إلى السماء[2]. ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ أي: فجاء أمر الله إلى بنيانهم من قواعده. ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ﴾ أي: انهدم السقف وسقط عليهم. قال السدي: لما انهدم صرح نمرود تبلبلت[3] ألسنة الناس من الفزع؛ فتكلموا بثلثمائة[4] وسبعين لساناً، وكان الناس قبل ذلك كلهم يتكلمون بالسريانية[5]. قال زيد بن أسلم: أول جبار كان في الأرض نمرود، أقام في ملكه أربعين سنة، وسلط الله عليه بعوضة فدخلت في رأسه من منخره، فأقام مدة طويلة تُضْرَبُ رأسه بالمطارق لتهتدي[6] حركتها ثم أماته الله[7]. ويقال:/إنه هدم [٤٠٦] على قومه البيوت فهلكوا [فهو قوله ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ][8] مِن فَوْقِهِمْ﴾[9]، قال ابن

=

وأعلم.

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، أبو محمد السدي، ورد عنه أنه رأى أبا هريرة، والحسن بن علي -رضي الله عنهما-، حدث عن ابن عباس، وأنس بن مالك وغيرهما -رضي الله عنهما-، وحدث عنه شعبة، وسفيان الثوري وغيرهما، مات سنة ١٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٤/٥)، وطبقات المفسرين للداودي (١١٠/١)، وطبقات المفسرين للأدنوي (ص١٥).

(٢) أخرجه الطبري (٥٧٦/٧) عن السدي مطولاً، وكذلك عن علي ﷺ ومجاهد وسعيد بن جبير (٤٧٤/٧-٤٧٥).

(٣) في (ك) تتلتلت.

(٤) في جامع البيان (٥٧٦/٧) والهداية (٣٩٧٧/٦) (بثلاث).

(٥) أخرجه الطبري انظر: هامش (٦) (ص١٥)، وذكره الثعلبي (١٠/٦)، والبغوي (١٦/٥) بلفظ مقارب ونسباه لكعب ومقاتل. قال ابن الجوزي (٣٢١/٤): (وهذا قول مردود لأن التبلبل يوجب الاختلاط والتكلم بشيء غير مستقيم فأما أن يوجب إحداث لغة مضبوطة الحواشي فباطل وإنما اللغات تعليم من الله تعالى) والله تعالى أعلى وأعلم.

(٦) هكذا في كلا النسختين، والأقرب لتهدأ. والله تعالى أعلى وأعلم.

(٧) أخرجه عبد الرزاق (٢٦٧/٢) عن معمر عن زيد بن أسلم في رواية طويلة، والطبري (٥٧٧/٧) من طريق عبد الرزاق به مختصراً.

(٨) ساقط من (ك).

(٩) لم أقف على من ذكره فسبحان من لا يخفى عليه شيء.

عباس ﷺ معناه: فأتاهم العذاب من السماء[1]، وقيل معناه: أحبط أعمالهم؛ فيكون ﴿بُنْيَـٰنَهُم﴾ كناية[2] عن أعمالهم ومكرهم أبطله الله[3]، وقيل: أتى الله بنيانهم استأصلهم بالعذاب[4]. ويقال: إن نمرود لما صعد على ظهر النسور لم يزل صاعداً حتى وصل إلى ظلمة لا يرَى ما فوقه ولا ما تحته، وكان قد رفع لحماً تنظر إليه النسور فنكس اللحم فطارت النسور هابطة إلى الأرض، فلما عرف عجزه بَنَى الصرح، فلما ارتفع بناؤه سلط الله عليه الريح فهدمته، ثم أمر الله الريح أن لا تدع[5]بناءً مرتفعاً[6] على الأرض ارتفاعاً مفرطاً إلا هدمته[7].

---

(١) أخرجه الطبري (٥١٨/٧) من طريق عطية العوفي.

(٢) والكناية: لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه معه. انظر: الإيضاح للقزويني (ص٢٧٣)، (ص٢٧٣)، والتبيان في البيان لشرف الدين الطيبي (ص٤٠٦)، وشرح عقود الجمان للسيوطي (ص١٠١)،

(٣) ذكره الزجاج (١٥٩/٣)، والنحاس (٦٣/٤)، وعليه فهو تمثيل لحالهم في مكرهم ومعارضتهم للشرع للشرع وأن الله أحبطها كحال صاحب البناء الذي عمَّده بالأساطين، وكيف أُتِيَ من قواعده ونُقِض وخَرَّ على صاحبه وكان وبالاً عليه. انظر المحرر الوجيز (٤٠٠/٨)، والتفسير الكبير (١٩٨/٧). وعلى هذا القول يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في الآية غير موقع على أحد بعينه، وإنما هو مراد به مكر الجبارين الذين من قبلهم وكانت العاقبة رجوع البلاء عليهم، انظر زاد المسير (٣٢١/٤)، والتفسير الكبير (١٩٨/٧) وصحح العموم على الإطلاق.

(٤) ذكره النحاس (٦٣/٤)، ونقل السمرقندي (٢٨٣/٢) وابن الجوزي (٣٢١/٤) عن ابن قتيبة أنه قال: (هذا مثَل؛ والمعنى: أهلكهم الله كما هلك من هدم مسكنه من أسفله فخر عليه) وهذا نص ابن الجوزي؛ وعليه فهو تمثيل كالذي قبله غير أن السابق تمثيل لإحباط العمل وهذا تمثيل لهلاكهم واستئصالهم والله تعالى أعلى وأعلم.

(٥) في (غ) تضع، وهو خطأ.

(٦) في كلا النسختين: مرتفع. وهو خطأ.

(٧) ذكره مكي (٣٩٧٩/٦) ولفظه (وروي أن نمرود بن كنعان بنى بناء ليصل به السماء فبعث الله ريحاً ريحاً فهدمته، ويقال: إن من يومئذ لم تدع الريح بناء على وجه الأرض يكون ارتفاعه أكثر من ثمانين ذراعاً إلا هدمته) أقول: والواقع يشهد بخلافه، والله تعالى أعلى وأعلم.

﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ ﴾[1] أي: يهينهم بالعقوبة والتوبيخ. ﴿ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰقُّونَ ﴾أي: تخالفوني [في عبادتهم][2] وتشاقوني. [و][3] من من فتح النون[4] فليس فيه ضمير للمتكلم[5]. ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾أي: قال المؤمنون الذين أعطاهم[6] الله العلم به.﴿ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ ﴾أي: يوم القيامة.﴿ وَٱلسُّوٓءَ ﴾ أي: العذاب على الكافرين.

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[7] أي: تقبض أرواحهم عند الموت وهم ظالمون لأنفسهم بالكفر ﴿ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ ﴾ أي: فاستسلموا لحكم الله عند معاينة الموت ولم يقدروا على دفعه؛ وقالوا﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ﴾ فكذَّبهم الله؛ وقال ﴿ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ يعلم أسراركم. قال عكرمة[8]: هم الذين قتلوا ببدر من المشركين، وكانوا قد خرجوا إليها كرهاً[9].

---

(١) سورة النحل آية: ٢٧.

(٢) زيادة من (ك).

(٣) ساقط من (ك).

(٤) وهي قراءة جميع القراء عدا نافع المدني فإنه يقرأ بكسر النون. انظر التيسير للداني (ص١٠٤)، والنشر لابن الجزري (٣٠٣/٢).

(٥) في (ك) المتكلم.

(٦) في (ك) آتاهم.

(٧) سورة النحل آية: ٢٨.

(٨) هو عكرمة بن عبد الله أبو عبد الله البربري المدني الهاشمي، مولى ابن عباس رضي الله عنهما، روى عن ابن عباس، وعائشة، وأبي هريرة وغيرهم ﷺ، حدث عنه النخعي، والشعبي، وعمرو بن دينار وغيرهم، مات سنة ١٠٤هـ بالمدينة. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٣٨٦/١)، وسير أعلام النبلاء (١٢/٥)، وطبقات المفسرين للأدنوي (ص١٢).

(٩) أخرجه الطبري (٥٧٨/٧) بلفظ مغاير من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال: (كان ناس بمكة أقروا بالإسلام ولم يهاجروا فأخرج بهم كرهاً إلى بدر فقتل بعضهم فأنزل الله فيهم ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾). وذكره الثعلبي (١٤/٦)، والسمعاني (١٦٨/٣) بنوع من التفصيل عن أهل التفسير ثم قال: ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ﴾ أي: ما كنا مشركين، وقوله ﴿ بَلَىٰٓ =

والصحيح أنه في كل كافر[1]؛ لأن السورة مكية[2].

قوله تعالى ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ ﴾[3] أي: وإذا سئل المؤمنون عما أنزل الله ﴿ قَالُوا۟ ﴾ أنزل ﴿ خَيْرًا ۗ ﴾ أي: قرآناً فيه خير وبشارة [﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ﴾. ثم بين الله الخير فقال][4] ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ﴾ أي: آمنوا وأطاعوا. ﴿ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ وهي ما أعطاهم الله في الدنيا من النعيم والأمن والنصر على الأعداء وتيسير الطاعات. ﴿ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ

=

إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ معناه أن الله عليم بأنكم عملتم عمل الكفار، وعمل الكفار هو ترك المهاجرة والخروج مع المشركين، وقد كان في ابتداء الإسلام لا يقبل الإسلام إلا مع الهجرة، فهؤلاء أسلموا ولم يهاجروا، فلم يقبل إسلامهم، وبمعناه قال الماوردي (١٨٦/٣)، ونسبه القرطبي (٣١٦/١٢) لعكرمة وفيه أنها نزلت بالمدينة في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا..... ورد ابن عطية (٤٠٤/٨) قول عكرمة بقوله:(وإنما اشتبهت عليه بالآية الأخرى التي نزلت في أولئك باتفاق العلماء) والمراد بها آية:٩٧ من سورة النساء وهي قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾.
أقول: وسباق الآية ولحاقها يدل على أنها عامة في أهل الشرك لا في أعيان من وصفهم عكرمة رحمه الله، فالآيات تتحدث عن المشركين المكذبين بالبعث المستكبرين عن الشرع الذين وصفوا ما جاء به النبي ﷺ بالأساطير، ثم ذكر ما يحملوه من الأوزار، ثم مثل حالهم في إحباط أعمالهم بحال من بنى ونقض؛ بأن أتي من أساسه، ثم ذكر حالهم يوم القيامة وما يقال لهم وما يكون منهم من نفي ما كان منهم في الدنيا، ثم مصيرُهم جهنمَ جزاء تكبرهم، ولحاقها في ذكر حال المتقين المصدقين بما جاء به النبي ﷺ مما أنزل إليه؛ لذا قال الطاهر ابن عاشور (١٣٨/٤): (فالوجه أن ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ بدل من ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ في قوله تعالى ﴿ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ أو صفة لهم كما يومئ إليه وصفهم في آخر الآية بـ ﴿ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ في قوله تعالى ﴿ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ فهم الذين وصفوا فيما قبل بقوله تعالى ﴿ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ وما بينهما اعتراض...) أهـ. والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) كما تقدم في الهامش السابق.

(٢) كما تقدم في أول السورة.

(٣) سورة النحل آية: ٣٠.

(٤) ساقط من (ك).

خَيْرٌ﴾ مما أعطاهم [الله][1] في الدنيا. ﴿وَلَنِعْمَ﴾ الدار الجنة. واللام في ﴿وَلَدَارُ﴾ و﴿وَلَنِعْمَ﴾ لام توكيد[2]. روى أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال:" يقول الله لملك/الموت: انطلق إلى عبدي إذا حان أجله فائتني به؛ فلأريحنه من الدنيا فإني قد جربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب، فينطلق ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة يحملون معه كفناً وحنوطاً من الجنة وضبآئر[3] الريحان، أصل الريحانة واحد وفي رأسها عشرون لوناً، لكل لون من ذلك ريح طيبة سوى ريح أصحابها، والحرير الأبيض فيه المسك الأذفر[4]، فيجلس ملك الموت عند رأسه وتحتويه[5] الملائكة؛ فيضع كل ملك يده على عضو من أعضائه، ويبسط ذلك الحرير والمسك الأذفر تحت ذقنه، فإن نفسه[6] لتعلل[7] عند ذلك بطَرَفِ الجنة مرة، وبأرواحها مرة، وبكسوتها مرة، وبثمارها مرة، كما يعلل الصبيَّ أهلُه إذا بكى، وإن روحه لتهش عند ذلك هشاً، قال يقول: تنزوا نَزْواً[8] لِتَخْرُجَ، ويقول ملك الموت لنفسه: اخرجي أيتها النفس الطيبة إلى سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب، فلملك الموت به أشد ألطافاً من الوالدة بولدها؛ يعرف أن ذلك الروح حبيب [٤٠٧]

---

(١) ساقط من (ك).

(٢) انظر: رصف المباني لأحمد بن عبد النور المالقي (ص٢٣١-٢٣٢) ومغني اللبيب لابن هشام (ص٣٠١-٣٠٢).

(٣) وهي الجماعات في تفرقة، واحدتها ضِبارة مثل عمارة وعمائر. النهاية في غريب الحدث والأثر لابن الأثير (٦٦/٣) مادة (ضبر). وقال الليث: (إضْبَارة من صحف أو سهام؛ أي: حزمة، وضُبارة لغة، وضبَّرتُ الكتب تضْبِيراً جمعتها) انظر تهذيب اللغة (٢٨/١٢-٢٩) مادة (ضبر).

(٤) (أي: طيب الريح، والذَّفَر بالتحريك يقع على الطيب والكريه ويفرق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١٤٩/٢)، وفي العين للخليل (١٨١/٨) مادة (ذرف) (ومسك أذفر ذكي جيد).

(٥) في (ك) ويجيؤونه.

(٦) ضبطت في (ك) نَفَسه بفتح الفاء.

(٧) في (ك) ليعلل.

(٨) ونُزُوًّا كما في المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة (١٠٧/٩)، وتاج العروس للزبيدي (٣٦٥/١٠) مادة (نزا).

لربه، فهو يلتمس بلطف حبيب ربه رضاً للربّ[1]. فيسل روحه كما تسل الشعرة من العجين"[2].

قال الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾[3] يأتي ملك الموت إلى المؤمن فيقول له: السلام عليك يا ولي الله، [إن][4] الله يقرؤ عليك السلام وأنت من أهل الجنة[5].

---

(١) في (ك) الرب.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٨٢/٦) لابن أبي الدنيا وأبي يعلى من طريق يزيد الرقاشي عن تميم تميم الداري، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٥٥٥/٢) لأبي يعلى ولم أجده في كتب بن أبي الدنيا ولا في مسند أبي يعلى. وسند أبي يعلى عند ابن كثير عن أبي عبد الرحمن أحمد بن إبراهيم النكري [الدورقي]؛ حدثنا محمد بن بكر البرساني أبو عثمان، حدثنا أبو عاصم الحبطي وكان من خيار أهل البصرة وكان من أصحاب حزم وسلام بن أبي مطيع، حدثنا بكر بن حبيش عن ضرار بن عمرو، عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن تميم الداري). قال ابن كثير (٥٥٧/٢): (هذا حديث غريب جداً وسياق عجيب، ويزيد الرقاشي راويه عن أنس له غرائب ومنكرات وهو ضعيف الرواية عند الأئمة والله أعلم). وذكره البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (١٨٥٢/٤٤٣/٢) وقال:(رواه أبو يعلى بسند ضعيف لضعف يزيد بن أبان الرقاشي)، وذكره ابن حجر في المطالب العالية بأطراف المسانيد الثمانية (٤٥٥٨/٥٤٢/١٨) وقال: (حديث عجيب السياق وهو شاهد لكثير مما ثبت في حديث البراء ﷺ الطويل المشهور، ولكن هذا الإسناد غريب لا نعرف أحداً روى عن أنس عن تميم الداري رضي الله عنهما إلا من هذا الوجه، ويزيد الرقاشي سيئ الحفظ جداً، كثير المناكير، كان لا يكاد يضبط الإسناد فيلزق بأنس ﷺ عنه كل شيء يسمعه من غيره، ودونه أيضاً من هو مثله أو أشد ضعفاً).

(٣) سورة النحل آية: ٣٢.

(٤) زيادة من (ك).

(٥) مقطوع من كلام محمد بن كعب، أخرجه عنه الطبري (٥٨٠/٧) بسنده عن محمد بن كعب القرظي يقول: (إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك فقال: السلام عليك ولي الله، الله يقرؤ عليك السلام ثم نزع بهذه الآية ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾) وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤٣٨/٨٩٨/٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٨/٦٢٣/١). ومعنى استنقعت (اجتمعت في فيه تريد الخروج كما يستنقع الماء في قراره، وأراد بالنفس الروح) النهاية لابن الأثير (٩٤/٥).

﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[1] أي: هل ينتظر المشركون إلا اتيان الملائكة لقبض أرواحهم ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَ ﴾ أو اتيان [أمر][2] من [عند][3] الله بعذابهم في الدنيا والآخرة.

﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾[4] فأهلكوا؛ فإن الله بعث في كل أمة رسولاً يأمرهم أن يعبدوا الله وحده ويجتنبوا عبادة الطاغوت؛ ﴿ فَمِنۡهُم ﴾ فمن[5] الأمم ﴿ مَّنۡ هَدَى ﴾ ﴿ ٱللَّهُ ﴾[6] فآمن ﴿ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ ﴾[7] بما سبق له في علم الله من الشقاوة فهلك على كفره.

﴿ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ ﴾[8] أي: إن تجتهد يا محمد ﷺ وتشتهي هداية قومك؛ ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ ﴾ [أي: من][9] أضله[10] لا يقدر أحد على هداية من حكم الله بشقاوته؛/إذ لا رادَّ لحكمه. وقرأ أبي بن كعب رضي الله عنه: (فإن الله لاهَادِيَ لِمَنْ أَضَلَّ)[11] وهو معنى قراءة من قرأ بضم الياء وفتح الدال[12]، ومن فتح الياء وكسر الدال[13] فمعناه: لا يهدي الله من سبق في علمه [٤٠٨]

---

(١) سورة النحل آية: ٣٣.

(٢) ساقط من (ك).

(٣) زيادة من (ك).

(٤) سورة النحل آية: ٣٥. وقول المؤلف (فإن الله...) شروع في تفسير الآية: ٣٦.

(٥) في (ك): من.

(٦) في (ك): ﴿ مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ ﴾.

(٧) سورة النحل آية: ٣٦.

(٨) سورة النحل آية: ٣٧.

(٩) ساقط من (غ).

(١٠) في (غ) العبارة هكذا: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ ﴾ أصله أي: وهو تحريف في العبارة.

(١١) ذكرها الفراء (٢/٩٩)، والنحاس (٤/٦٥)، وابن زنجلة في حجة القراءات (ص٣٨٨).

(١٢) وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب. انظر التيسير للداني (ص١٠٤)، والنشر لابن الجزري (٢/٣٠٤).

(١٣) وهم عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر. انظر المصادر في الهامش السابق.

شقاوته. ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ أي: ما للضالين أنصار يمنعونهم من عذاب الله.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾[1] أي: حلفوا غاية حلفهم وبالغوا واجتهدوا في اليمين بالله أن الله لا يبعث الموتى فكذبهم الله وقال: ﴿بَلَىٰ﴾ أي: بل نبعثهم[2] كما وعدهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾؛ أي: كائن كما وعد، إذ لا مبدل لكلماته.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾[3] أي: [يبعثهم ليبين لهم أن][4] البعث، ﴿ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [أنه][5] [أنه][5] حق، وليعلموا كذبهم في يمينهم بالله.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾[6] أي: إنما قولنا إذا أردنا أن نخلق شيئاً أن نقول من أجل خلقنا له ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ فإذا هو كائن؛ ومعناه: أن الله تعالى يفعل الأشياء بلا معاناة ولا مشقة ولا مباشرة؛ فهو قادر على البعث وغيره من الجائزات. ومن رفع[7] ﴿فَيَكُونُ﴾ فعلى القطع[8]، وتقديره: ﴿فَيَكُونُ﴾ الشيء الذي أردناه، ومن نصب[9] عطفه على ﴿نَقُولَ﴾، ولا يجوز نصبه على الجواب[10]؛ لأنه خبر[1] وليس بأمر[2].

---

(١) سورة النحل آية: ٣٨.

(٢) في (ك) يبعثهم، وهو أنسب مع ضمير الغائب بعده.

(٣) سورة النحل آية: ٣٩.

(٤) ساقط من (ك).

(٥) زيادة من (ك).

(٦) سورة النحل آية: ٤٠.

(٧) وهم جميع القراء عدا ابن عامر والكسائي. انظر التيسير للداني (ص١٠٤)، والنشر لابن الجزري (٢/٢٢٠).

(٨) قال الفراء: (٢/١٠٠): (وهو [أي الرفع] جائز على أن تجعل ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ كلاماً تاماً ثم تخبر بأنه سيكون، كما تقول للرجل: (إنما يكفيه أن آمره) ثم تقول: فيفعلُ بعد ذلك ما يؤمر) وهو أيضاً على تقدير محذوف أي: (فهو يكون؛ على معنى ما أراد الله فهو يكون) انظر حجة القراءات لابن زنجلة (ص٣٩٠)، وإعراب القراءات السبع لابن خالويه (٢/٣٥٤).

(٩) وهما ابن عامر والكسائي. انظر التيسير للداني (ص١٠٤)، والنشر لابن الجزري (٢/٢٢٠).

(١٠) لفعل الأمر ﴿كُن﴾.

بأمر[٢].

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ ﴾[٣] أي: هجروا أوطانهم وأهليهم طلباً لمرضات الله؛ وهم الذين هاجروا إلى الحبشة؛ لأن السورة مكية[٤]. ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ أي: ظلمهم المشركون وآذوهم

=

(١) عن أمره في التكوين.

(٢) وإن كان على لفظ الأمر. أقول: وإنما لم يصح نصبه على الأمر للعلة التي ذكرها المصنف وبيانها:
أولاً: ليس ثم مأموراً بفعل شيء، وإنما اللفظ إخبار عن قدرة الله في خلقه وتكوينه بقوله للشيء ﴿كُن﴾، ويشبهه قوله تعالى ﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا ﴾ سورة مريم آية: ٣٨، فلفظه لفظ الأمر مراد به التعجب أي: ما أسمعهم وأبصرهم ذلك اليوم.
ثانياً: لم يصح جعله جواباً لـ ﴿نَّقُولَ﴾ لاتحاد الفعلين والفاعل واحد فهو بمثابة اذهب فتذهب؛ ولا فائدة فيه. غير أن بعضهم جعله جواباً لـ ﴿نَّقُولَ﴾ حملاً على اللفظ وإن كان معناه ليس أمراً. والله تعالى أعلى وأعلم. انظر فيما تقدم الحجة لأبي علي الفارسي (٢/٢٠٣-٢٠٩)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (ص٣٩٥-٣٩٦)، والدر المصون (٢/٨٧-٩١)، وانظر: التوجيه هامش (٨) (ص٢٤).

(٣) سورة النحل آية: ٤١.

(٤) الحبشة: اسم للأُمَّة أطلق على أرضهم، واسمها الحالي أثيوبيا، وعاصمتها أديس أبابا، وللحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة، وهي هضبة مرتفعة غرب اليمن، بينهما البحر، وهي على الضفة الغربية، وكانت إمبراطورية عظمى في السابق، تضم تحتها (أرتيريا) حالياً وما يتبعها، وإقليم (أوجادين) المعروف بالصومال الغربي. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبد الله الحميري (ص٤٩٩)، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية لعاتق البلادي (ص٩١)، والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة لمحمد شراب (ص٩٦). وبه قال قتادة، كما في جامع البيان (٧/٥٨٥). وقد أخرج الطبري (٧/٥٨٥) عن ابن عباس من طريق العوفي قال: (هم قوم هاجروا إلى رسول الله ﷺ من أهل مكة من بعد ظلمهم، وظلمهم المشركون). وعليه فالآية عامة في كل من هاجر سواء إلى الحبشة أو المدينة، وإن كانت تحتمل أنها في المهاجرين إلى الحبشة لكون السورة مكية، ويدل للعموم دلالتان:

١- دلالة اللغة؛ حيث إن لفظ الآية عام ﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ والعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب.

٢- دلالة الشرع؛ فقد ورد في نصوص عديدة الحث على الهجرة منها:

أ- ما أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود =

وأخذوا أموالهم. روي أن صهيباً ﷺ قال للمشركين: أنا شيخ كبير إن كنت معكم لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم أضركم فخذوا مالي واتركوني، فأخذوا ماله وتركوه[1]. ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ لنسكِّنَنَّهم ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ داراً ﴿حَسَنَةً﴾، وهذا وعد من الله تعالى فأسكنهم المدينة وهي دار حسنة؛ قاله ابن عباس ﷺ وقتادة والشعبي[2]. وقيل الحسنة هنا: النصر والفتح[3]، وسعة الأرزاق[1]، وكونهم مسلمين[2]، وسماعهم ثناء الله عليهم في القرآن[3].

=

(٣/١٠٤/٢٦٤٥) من حديث جرير بن عبد الله وفيه أن النبي ﷺ قال: " أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ".

ب- ما أخرجه النسائي في سننه في كتاب الزكاة باب من سأل بوجه الله عز وجل (النسائي مع السندي ٥/٨٧/٢٥٦٧) عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعاً، وفيه أن النبي ﷺ قال:" لا يقبل الله عز وجل من مشرك بعدما أسلم عملاً أو يفارق المشركين إلى المسلمين ". قال ابن حجر في فتح الباري (٦/٣٩) بعد قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [سورة النساء آية ٩٧]، (وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها) وقال بعد حديث أبي داود المتقدم (وهذا محمول على من لم يأمن على دينه) أقول: وهذا على تقسيم مشهور بين أهل العلم في حق من تجب عليه ومن تستحب في حقه ومن يعذر. انظر فتح الباري لابن حجر (٦/١٩٠). والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) ذكره مقاتل في تفسيره (١٥/١٠٩)، والواحدي في أسباب النزول (ص٩٦) عند قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[البقرة آية:٢٠٧]، وصدره بقوله (وقال المفسرون).

(٢) لم أقف على أثر لابن عباس يصرح بأنها المدينة، ولكنه مفهوم من الأثر السابق الذي أخرجه عنه الطبري من طريق عطية العوفي المتقدم هامش (٣) (ص٢٤)، وأخرجه عن قتادة والشعبي الطبري (٧/٥٨٥) من طريق سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة وعن القاسم بن سلام عن هشيم عن داود بن أبي هند عن الشعبي ولم يذكر الواسطة بينه وبين القاسم بن سلام. والشعبي هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، أبو عمرو الهمداني الشعبي، ويقال: هو عامر بن عبد الله، ولد في إمرة عمر بن الخطاب ﷺ لسنتين خلت منها، وقيل: ولد سنة ٢١هـ، وقيل غير ذلك، حدث عن سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبي موسى الأشعري وغيرهم ﷺ، روى عنه أبو حنيفة، وحماد، وابن أبي ليلى وغيرهم، مات سنة ١٠٤هـ، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٢٩٤-٣١٩)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢/٢٤).

(٣) ذكره النحاس (٤/٦٧)، والسمعاني (٣/١٦٩)، والماوردي (٣/١٨٨)، وابن الجوزي (٤/٣٧٧)، ونسبوه للضحاك، ولفظه عند الماوردي وابن الجوزي (النصر على العدو).

﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ ﴾ أي: ولثواب الآخرة الذي يعطيهم في الآخرة ﴿ أَكْبَرُ ﴾ وأفضل مما أُعطُوا في الدنيا. وكان عمر بن الخطاب ﷺ إذا أعطى أحداً من المهاجرين عَطَاة يقول: خذ؛ هذا/ما وعدك الله في الدنيا، وما ادخره لك أفضل ثم يتلو هذه الآية[٤]. ثم مدح الله هؤلاء [٤٠٩] المهاجرين بالصبر على الأحكام والتوكل على الله مع الضعف والقلة[٥].

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾[٦] أي: لم نرسل ملائكة تعاينهم الناس، ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾ أي: فاسئلوا أيها العرب من آمن بمحمد من أهل العلم بالكتب المتقدمة ﴿ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أن الرسل كانوا رجالاً، فإن علماء أهل الكتاب كانوا يخبرونكم أن الرسل كانوا من البشر، وأن محمداً مذكور في التوراة والإنجيل.

﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾[٧] أي: أرسلنا الرسل من قبلك بالمعجزات. والزُّبُر؛ أي: الكُتُب،

=

(١) أخرجه الطبري (٥٨٦/٧) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (لنرزقنهم في الدنيا رزقاً حسناً)، وذكره السمعاني (١٦٩/٣)، والماوردي (١٨٨/٣)، وابن الجوزي (٣٧٧/٤) ونسبوه لمجاهد بلفظ (الرزق الحسن).

(٢) لم أقف على من ذكره غير أن البغوي (٢٠/٥) قال: (وقيل: الحسنة في الدنيا التوفيق والهداية).

(٣) في (ك) الآخرة. ولم أقف عليه بهذا اللفظ، وبمعناه ذكره النحاس (٧/٤)، ومكي (٣٩٩٧/٦)، والماوردي (١٨٨/٣)، وابن الجوزي (٢٧٧/٤) بلفظ (لسان صدق). ولا خلاف بين هذه الأقوال، وكلها من الحسن الذي أعطاهم الله، قال ابن كثير (٥٩١/٢): (فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم فعوضهم الله خيراً منها في الدنيا، فإن من ترك شيئاً لله عوضه بما هو خير له منه وكذلك وقع؛ فإنهم مكن الله لهم في البلاد وحكمهم على رقاب العباد وصاروا أمراء حكاماً وكل منهم للمتقين إماماً).

(٤) أخرجه الطبري (٥٨٦/٧) بسنده عن العوام عمن حدثه أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى....). وفي سنده مجهول، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣٢/٤) لابن المنذر، وذكره عدد من أهل التفسير كالنحاس (٦٧/٤)، والثعلبي (١٨/٦) وغيرهما.

(٥) في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

(٦) سورة النحل آية: ٤٣.

(٧) سورة النحل آية: ٤٤.

يقال: زبرت الكتاب؛ أي: كتبته[1]. ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ ﴾ أي: وكذلك أرسلناك بالقرآن ليذَّكرَ[2] الناسُ وليُبَيَّن[3] لهم الحقُّ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في المصنوعات فيستدلون على التوحيد والبعث.

﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[4] أي: أيأمن هؤلاء الكفار الذين يمكرون ويعملون السيئات ويؤذون المسلمين ﴿ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ كقوم لوط[5] ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ كما جاء قومَ نوحٍ وهودٍ وصالحٍ وغيرهم.

﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ ﴾[6] أي: يأخذهم [العذاب][7] في تصرفهم في الأسفار في برٍّ أو بحر[8]. وقيل؛ أي: تقلبهم في الليل والنهار[9]. ﴿ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ أي: ليسوا بممتنعين من عذاب الله بقوتهم وكثرتهم.

﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾[10] أي: بنقصٍ ومحقٍ شيئاً بعد شيء. يقال: تخوفت الشيء[1]؛

---

(١) انظر المفردات للراغب (ص٢١٦) مادة (زبر) وتهذيب اللغة (١٣/١٩٦) مادة (زبر).

(٢) في (ك) لتذكر.

(٣) في (ك) ولتبين.

(٤) سورة النحل آية: ٤٥.

(٥) في (غ) لوطاً، وهو خطأ.

(٦) سورة النحل آية: ٤٦.

(٧) ساقط من (ك).

(٨) أخرجه الطبري (٧/٥٩٠) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ومن طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة. قتادة.

(٩) أخرجه الطبري (٧/٥٩٠) عن ابن جريج، ونسبه الماوردي (٣/١٩٠) لابن جريج، وزاد نسبته ابن ابن الجوزي (٤/٣٢٩) للضحاك ومقاتل.

أقول: وقد ورد عن ابن عباس عند الطبري (٧/٧٩٠) من طريق علي ابن أبي طلحة قولُه ﴿فِى تَقَلُّبِهِمْ ﴾ (في اختلافهم) أي: اختلاف أحوالهم، وهو تفسير عام أوفق لعموم الآية موافق لما جاء عن ابن جريج والضحاك ومقاتل وهو أدق مما روي عنه (في أسفارهم) والله تعالى أعلى وأعلم.

(١٠) سورة النحل آية:٤٧.

أي: نقصته وأخذته شيئاً بعد شيء؛ فمعناه: أو يمحق أنفسهم وأموالهم قليلاً بعد قليل؛ قاله عمر وابن عباس رضي الله عنهما[٢]، وقيل التَّخَوُّف[٣]: أخذ قوم ليخوف بهم غيرهم[٤]، وقيل معناه: على عجلٍ[٥]. وقيل: هو نصر محمد على قوم منهم بعد قوم[٦]. وقد فعل الله ذلك. ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ فلرأفته ورحمته أخر عقوبتهم ليُؤْمِنَ مَنْ يؤمنُ منهم أو يولدَ من يؤمنُ. وغير ذلك من المصالح التي تفرد بعلمها الله سبحانه.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾[٧][أي][٨]: ألم[٩] ينظر المشركون ﴿ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾/من الأشياء التي لها ظل؛ كالجدران والشجر وغيرها ﴿ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ ﴾ أي: يرجع[١٠] يميناً وشمالاً [٤١٠]

=

(١) وتخونته بالمعجمة بمعنىً. انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٠١-١٠٢)، وتهذيب اللغة (٥٩٣/٧-٥٩٤) مادة (خوف) ومعجم مقاييس اللغة (٢/٢٣٠-٢٣١) مادة (خوف — خون).

(٢) لم أقف عليه كما ذكره منسوباً لابن عباس وعمر رضي الله عنهم. وقريب منه عبارة الطبري (٥٩٠/٧) حيث قال:(أو يهلكهم بتخوف وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم) وكذلك عبارة الزمخشري (٣٣٠/٢) حيث قال (أي: يأخذهم على أن ينتقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا) وكذلك عبارة الرازي (٢١٣/٧).

(٣) في (غ) التخويف. وهو تحريف.

(٤) بمعناه أخرج الطبري (٥٩١/٧) من طريق العوفي عن ابن عباس، وبمعناه بسند لم يذكر شيخه فيه عن الضحاك، وذكره النحاس في معاني القرآن (٧٠/٤) ونسبه للضحاك، والماوردي (١٩٠/٣)، ونسبه للحسن، وبه قال الزجاج (١٦٤/٣).

(٥) ذكره النحاس (٧٠/٤)، ومكي (٤٠٠٥/٦) ونسباه لليث، والسمعاني (١٧٥/٣) محكياً عن الليث أنه سمعه.

(٦) لم أقف على من قال بهذا القول، وليس بعيداً فهو نوع من أنواع العذاب الذي أنزله الله بالكافرين؛ من القتل والسبي وغنيمة أموالهم، وهو من التنقص المصحوب بالخوف قبل وقوعه. والله تعالى أعلم.

(٧) سورة النحل آية: ٤٨.

(٨) ساقط من (ك).

(٩) في (ك) أولم.

(١٠) في (ك) ترجع.

انقياداً لحكم الله وطوعاً لتصريف الله فيها. يقال: فاء يفيء ويتفيؤ؛ أي: يرجع[1]. ﴿ سُجَّدًا لِلَّهِ ﴾ أي: تسجد الأشياء بمثل ظلها[2]، وسجودها ظهور الدلالة فيها على قدرة الله تعالى. ﴿ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ أي: صاغرون تظهر[3] فيهم أثر قدرة الله تعالى وتدبيره. قال الضحاك ومجاهد[4]: إذا زالت الشمس سجد كل شيء من نبت وشجر وغيره[5]. وأتى لفظ ﴿ ٱلْيَمِينِ ﴾ بالتوحيد على لفظ شيء، ولفظ الشمائل بالجمع على

---

(١) انظر المفردات للراغب (ص٣٩٠) مادة (فيأ)، وتهذيب اللغة (٥٧٧/١٥) مادة (فاء)، ومعجم مقاييس اللغة (٤٣٥/٤) مادة (فأ).

(٢) أي: لا تسجد بذاتها، وهو قول مجاهد وابن عباس كما أخرجه عنهما الطبري (٥٩٣/٧). أقول: في هذا الموضع جعل السجود للظلال لا للذوات وقد نسب السجود للذوات في مثل قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ سورة الحج آية ١٨، وللذوات والظلال في قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾ سورة الرعد آية: ١٥.

(٣) في (ك): يظهر.

(٤) في (ك): مجاهد والضحاك. ومجاهد هو ابن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، وقد اختلف في ولائه، روى عن ابن عباس، وأبي هريرة، وجابر بن عبد الله ﷺ وغيرهم، وحدث عنه عكرمة، وعطاء، وقتادة وغيرهم، مات بمكة سنة ١٠١هـ، وقيل: ١٠٢هـ، وقيل: ١٠٤هـ وهو ساجد، وله ٨٣ سنة. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٣٠٥/٢-٣٠٨)، وسير أعلام النبلاء (٤٤٩/٤)، وطبقات المفسرين للأدنوي (ص١١).

(٥) أخرجه الطبري (٥٩٣/٧) عن شيخه محمد بن حميد الرازي ونصر بن عبد الرحمن الأودي من طريق طريق أبي سنان [سعيد بن سنان] عن ثابت [بن جابان] عن الضحاك ومحمد بن حميد الرازي وأبو سنان الشيباني ضعيفان. ولفظه (إذا فاء الفيء توجه كل شيء ساجداً قِبَل القبلة من نبت أو شجر...)، ومن طريق الحماني عن يحيى بن يمان عن شريك عن منصور عن مجاهد في قول الله ﴿ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ ﴾(إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل). وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني ويحيى بن يمان وقد ضعفا.

المعنى؛ مثل قوله ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ ﴾[1] ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ ﴾[2].

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[3] من جميع الأحياء الذين يدبون ويتحركون. وتسجد الملائكة فلا يتكبر على السجود لله أحد منهم. وقيل تقدير الآية: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾من الملائكة ﴿ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾من الدواب[4]. وأصل السجود في اللغة: الميل والانحطاط ثم يستعار في الخضوع والتذلل[5].

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[6] أي: يخاف هؤلاء الساجدون من الملائكة وغيرهم ربَّهم؛ الذي هو قادر عليهم قاهر لهم، فهم تحت قهره وتصرفه[7]، فالفوقية هنا فوقية تعظيم وقهر لا فوقية جهة وحصر، تعالى الله عن الحصرية[8] في الجهات وتعاظم[9].

---

(١) سورة يونس آية: ٤٢.

(٢) سورة يونس آية: ٤٣.

(٣) سورة النحل آية: ٤٩.

(٤) ولعل تمام القول:(والملائكة) ففي معاني القرآن للزجاج (١٦٥/٣) (﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾من الملائكة ﴿ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ ﴾ أي: وتسجد ملائكة الأرض، والدليل على أن الملائكة في الأرض...)، وفي معاني القرآن للنحاس (٧١/٤) (قيل: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ من الملائكة ﴿ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ ﴾ أي: والملائكة الذين في الأرض) وفي الهداية لمكي (٤٠٠٩/٦) (المعنى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾من الملائكة ﴿ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَ ﴾ من ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾). ويحتمل بأن مراده في الكلام تقديم وتأخير (ومعناه من الملائكة وما في الأرض من دابة) ذكره السمرقندي (٢٨٩/٢)، وكلام المؤلف ظاهره كما في بحر العلوم. والله تعالى أعلى وأعلم.

(٥) انظر المفردات للراغب (ص٢٢٩)، وتهذيب اللغة (٥٦٩/١٠) مادة (سجد)، ومعجم مقاييس اللغة (١٣٣/٣) مادة (سجد) في عبارات مقاربة.

(٦) سورة النحل آية: ٥٠.

(٧) في (ك): وتصريفه.

(٨) في (ك): الحصر.

(٩) ومذهب أهل السنة إثبات صفة الفوقية لله سبحانه وتعالى، كما أثبتها لنفسه في كتابه وأثبتها له رسوله ﷺ إثباتاً يليق بجلاله وعظمته، من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تعطيل ولا تأويل. قال الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص١٧٥): (ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون =

﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ﴾[1] أي: وله التوحيد واجباً، فهو مستحق للعبادة وحده، وقيل معناه: ويستحق العبادة دائماً، والواصب: الدائم، والوصوب الدوام، ومنه قوله ﴿ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾[2] قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك[3]، وقيل الوصب: الجهد والمشقة[1]. ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ

=

أن الله سبحانه فوق السماوات السبع على عرشه مستو) وقال الطحاوي في عقيدته:(محيط بكل شيء وفوقه) انظر الطحاوية مع شرح ابن أبي العز الحنفي (ص٢٨٠). والنصوص من الكتاب والسنة في إثبات صفة الفوقية لله عز وجل كثيرة، وكلام السلف في إثبات ذلك كثير جداً، وانظر في ذلك (رسالةً في الاستواء والفوقية) لأبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني ضمن مجموع الرسائل المنيرية (١/١٧٤)- فقد استطرد في ذكر نصوص الوحيين المثبتة لصفتي العلو والفوقية من غير تأويل كما نثبت له الصفات الذاتية من غير تأويل؛ إذ كله ثابت بالكتاب والسنة على طريق واحد فلا فرق- وشرحَ ابن أبي العز على الطحاوية (ص٢٨٢) وما بعدها، والتدمريةَ لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٨١) وما بعدها. أقول: وما أوقع أهل التأويل في تأويلهم إلا أنهم لم يفهموا من نصوص الفوقية والعلو إلا الحصر والتحديد في مكان الذين هما صفة عَرَض تقوم بالحوادث كما أبانه الجويني في رسالته آنفة الذكر عند رده عليهم. وأما لفظ الجهة فلفظ مجمل لم يرد في كتاب ولا سنة، ومذهب أهل السنة فيه الاستفصال ويغني عنه لفظ الفوقية والعلو وأن الله في السماء. قال شيخ الإسلام في التدمريه (ص٦٦): (ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه كما في العلو والاستواء والفوقية والعروج إليه ونحو ذلك.... فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق؟ فإن الله ليس داخلاً في المخلوقات، أم تريد بالجهة ما وراء العالم فلا ريب أن الله فوق العالم بائن من المخلوقات، وكذلك يقال لمن قال: إن الله في جهة، أتريد بأن الله فوق العالم؟ أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات؟ فإن أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثاني فهو باطل) وانظر القواعد المثلى لابن عثيمين (ص٣٨). والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) سورة النحل آية: ٥٢.

(٢) سورة الصافات آية: ٩.

(٣) أخرجه الطبري (٧/٥٩٥) من طريق شيخه سفيان بن وكيع عن كل من ابن عباس وعكرمة والضحاك. وسفيان ضعيف، وفي سند الضحاك جويبر وهو ضعيف أيضاً، وعن عكرمة بسند صحيح من طريق أبي حصين (عثمان بن عاصم الأسدي). وأخرجه عن مجاهد من طريق ابن أبي نجيح.

﴿ نَتَّقُونَ ﴾ أي: أتخافون من غير الله أن يسلبكم النعم.

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[٢] وما عندكم من النعم فهو من فضل الله. ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ ﴾ أي: أصابتكم شدة ﴿ فَإِلَيْهِ ﴾ [أي][٣]: فإلى[٤] الله ﴿ تَجْـَٔرُونَ ﴾ أي: تصرخون وتستغيثون. والجؤار: الصياح[٥]، وكان المشركون عند الشدائد لا يتضرعون إلا إلى الله، وإذا زالت الشدة أشركوا[٦].

﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾[٧]/أي: يجحدون ما أُعْطُوا من النعم. ﴿ فَتَمَتَّعُواْ ﴾ أي: اسْتَمْتِعُوا [٤١١] بنعم الله حتى تنقضي آجالكم؛ وهذا تهديد للمشركين.

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا ﴾[٨] أي: [و][٩]يجعلون للأصنام [التي يعبدونها بغير علم][١٠] نصيباً من أموالهم؛ وهو قولهم: هذا لله وهذا لشركائنا. والضمير في يعلمون للكفار، أي: لا يعلمون أنهم يضرونهم[١١] ولا ينفعونهم[١]، وقيل: الضمير للأصنام[٢]؛ ومعناه: يجعلون

=

(١) بمعناه قال الزجاج (١٦٦/٣)، والسمعاني (٣/ ١٧٨)، وذكره الماوردي (١٩٣/٣). وتوجيهه كما قال الزجاج (أي: له الدين والطاعة رضي العبد بما يؤمر به أو لم يرض، وسهل عليه أو لم يسهل، فله الدين وإن كان فيه الوصب، والوصب: شدة التعب) وقال السمعاني: (معنى الآية أن الطاعات كلها لله وإن كان فيها الوصب والتعب).

(٢) سورة النحل آية: ٥٣.

(٣) ساقط من (غ).

(٤) في (ك): إلى.

(٥) ورفع الصوت بشدة توجعاً واستغاثة انظر مجاز القرآن (٣٦١/١)، والمفردات للراغب (ص٩٢)، وتهذيب اللغة (١١/ ١٧٧) مادة (جأر).

(٦) وهو معنى قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النحل آية: ٥٤].

(٧) سورة النحل آية: ٥٥.

(٨)سورة النحل آية: ٥٦.

(٩) ساقط من (غ).

(١٠) ساقط من (غ).

(١١) الأقرب: (لا يضرونهم) أو حذفت لدلالة الثاني عليه، أو أنه يلحقهم الضرر بإشراكهم بهم، =

يجعلون للأصنام التي لا تعقل ولا تعلم[٣]. وأتى فيهم الجمع بالواو والنون لتشبيههم بمن يعقل؛ كقوله ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾[٤]. ﴿ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾أي: أُقْسِم بالله لَيَسْأَلَنَّكُم الله يوم القيامة عن كذبكم على الله.

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ ﴾[٥] أي: هو كفرهم بقولهم إن الملائكة بنات الله. ﴿ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ يعني البنين فنسبوا إلى الله ما لا يرضون به لأنفسهم؛ فإنهم كانوا يقتلون بناتهم[٦]، فإذا ولد لأحدهم ابنة فبشر بها:

﴿ ظَلَّ وَجْهُهُۥ ﴾[٧] أي: صار وجهه ﴿ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾أي: ممتلئ من الحزن كاظم حزنَه؛ أي: مخفيه.

﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ ﴾[٨] أي: يستتر من الناس لقبح ما بشر به من ولادة الأنثى، ويتفكر في نفسه ﴿ أَيُمْسِكُهُۥ ﴾أيمسك الأنثى ﴿ عَلَىٰ هُونٍ ﴾ أي: يربيها ويهينها ويستخدمها كالمملوكة أم يدسها في التراب؛ أي: يدفنها ويخفيها في الأرض، وكانوا يدفنون الأنثى وهي حية ويثقلونها بالحجارة فتموت؛ وهي الموؤودة. ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾أي: بئس الحكم حكمهم

=

ونسب الضرر للأصنام للملابسة تجوزاً؛ ذلك أنها هي المعبودة. والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) في (ك) يضروهم ، وينفعوهم.

(٢) ذكره السمرقندي (٢/٢٩٠) حيث قال: (وبعضهم قال: معناه يجعلون للأصنام الذين لا يعلمون شيئاً نصيباً) ومكي (٦/٤٠١٥)، ومحمود بن حمزة الكرماني في غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٦٠٧).

(٣) شيئاً فالمفعول محذوف.

(٤) سورة الأعراف آية: ١٩٨، وكما مر آنفاً في قوله تعالى ﴿ وَهُمْ يَصْدِفُونَ ﴾.

(٥) سورة النحل آية: ٥٧.

(٦) ويفسر بعض جوانب الآيات ما جاء في سورة الصافات في قوله تعالى ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَٰتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ .

(٧) سورة النحل آية: ٥٨.

(٨) سورة النحل آية:٥٩.

[في][1] قتل أولادهم ونسبتهم إلى الله ما لا يرضون به[2] لأنفسهم.

قوله تعالى ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ﴾[3] أي: لهم الوصف القبيح في الدنيا بالمذمة على كفرهم وفي الآخرة بالتوبيخ والعقوبة. ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾أي: الوصف الأكمل والنعت الأعظم؛ وهو كونه – سبحانه – قديماً باقياً منزهاً[4] عن أوصاف الحدوث لا شريك شريك له ولا ولد له ولا والد، وهذا رد عليهم في نسبة الولد إلى الله. والمثل هنا: الوصف، ومثله قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[5] أي: ليس/كوصفه وصف فذاته لا تشبه [٤١٢] الذوات، وصفاته لا تشبه الصفات.

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾[6] أي: لو عجل [الله][7] للناس عقوبة عقوبة ذنوبهم لأهلك كل من عليها؛ أي: على الأرض ﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ ﴾ يؤخر الناس إلى انقضاء أجلهم[8] فلا يتأخر هلاكهم عن الأجل ولا يتقدم، ويقال: لو عجل الله عقوبة المذنبين لقطع الغيث فهلك كلما على الأرض[9]، قال ابن مسعود ﷺ: خطيئة ابن آدم قتلت الجُعَل[10]. وسمع أبو هريرةﷺ رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال: بلى

---

(١) ساقط من (ك).

(٢) في (ك): ما لا يرضونه.

(٣) سورة النحل آية: ٦٠.

(٤) في كلا النسختين: قديم باق منزه. وهو خطأ.

(٥) سورة الشورى آية: ١١.

(٦) سورة النحل آية: ٦١.

(٧) ساقط من (ك).

(٨) في (ك): آجالهم.

(٩) ذكر قريباً منه السمرقندي (٢/٢٩٢)، وابن الجوزي (٤/٣٣٥) ونسبه للسدي ونحواً منه لمقاتل، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/١٣٥) لابن أبي حاتم عن السدي.

(١٠) أخرجه الطبري (٧/٦٠١) من طريق الزبير بن عدي قال: قال عبد الله بن مسعود: (.....). والذي يظهر أن السند منقطع بين الزبير وابن مسعود لما يلي:

١- لم يصرح بالسماع من ابن مسعود.

=

[والله][1] إن الحُبَارى لَتَمُوتُ في وكرها هُزالاً بظلم الظالم[2].

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾[3] أي: البنات ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾أي: وتقول ألسنتهم كذباً ﴿ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾أي: أن لهم عند الله جزاءً[4] حسناً. وقيل: الحسنى هنا الأولاد الذكور[5]، وقرئت في الشواذ (الكُذُبُ) بضم الكاف والذال ورفع الباء[6] فهو نعت للألسنة. ﴿ لَا جَرَمَ ﴾قال ابن عباسﷺ معناه: (بلى)[7]. ﴿ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم

=

٢- لم أجد من نص على روايته عن ابن مسعود في كتب الرجال. والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) ساقط من (ك).

(٢) أخرجه الطبري (٦٠١/٧) من طريق محمد بن جابر الحنفي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة [ابن عبد الرحمن بن عوف] عن أبي هريرة. قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (٩٤/٤): (وفي إسناده محمد بن جابر اليمامي وهو متروك) وقد أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧٤٧٩/٥٤/٦) عن شيخه أبي الحسن العلوي عن أبي الفضل عبدوس بن الحسين السمسار عن أبي حاتم الرازي عن نعيم بن حماد عن إسماعيل بن حكيم الخزاعي عن عمر بن جابر الحنفي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة. فأبو سلمة ويحيى بن أبي كثير ثقتان، وعمر بن جابر الحنفي ذكره ابن حبان في الثقات، وإسماعيل بن حكيم الخزاعي ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، ونعيم بن حماد ثقة محله الصدق، وأبو حاتم إمام مشهور، وأبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور النيسابوري ترجم له الذهبي في تاريخ الإسلام ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وأبو الحسن محمد بن الحسين العلوي إمام محدث صدوق. ولم أقف على من نص على رواية إسماعيل بن حكيم عن عمر بن جابر، ورواية نعيم عن إسماعيل بن حكيم الخزاعي. والله تعالى أعلى وأعلم.

(٣) سورة النحل آية: ٦٢.

(٤) في (ك): أجراً.

(٥) قاله مجاهد وقتادة؛ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره عن قتادة بلفظ ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (الغلمان)، والطبري عنهما (٦٠٢/٧) وقرره. ولفظ مجاهد ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (قول قريش لنا البنون ولله البنات).

(٦) ذكرها ابن جني في المحتسب (١١/٢) ونسبها لمعاذ، والعكبري في إعراب القراءات الشواذ (٧٦٤/١ – ٧٦٥)، والقرطبي (٣٧٤/١٢) ونسبها لابن عباس وأبي العالية ومجاهد وابن محيصن، وأبو حيان (٥٠٧/٥) ونسبها لمعاذ بن جبل وبعض أهل الشام.

(٧) أخرجه الطبري (٦٠٢/٧) من طريق علي بن أبي طلحة.

مُّفۡرَطُونَ ﴾ بفتح الراء[1]، أي: يعجلون[2] إلى النار؛ قاله الحسن[3]. وفرَطُ القوم: سابقهم، ومنه الحديث" أنا فرطكم على الحوض"[4]، وقيل: مُفْرَطُون بالفتح: متروكون في النار[5]؛ يقال: ما أفرطتَ أحداً: أي: ما تركت[6]، ومن كسر الراء وخفف[7] فمعناه: مبالغون في الكفر، من الإفراط وهو مجاوزة الحد[8]، ومن كسر وشدد[9] فهو من التفريط، أي: مضيعون لحق الله[10].

---

(١) وهي قراءة جمهور العشرة عدا نافع وأبي جعفر. انظر التيسير للداني (ص١٠٥)، والنشر لابن الجزري (٣٠٤/٢).

(٢) في (ك) معجلون.

(٣) ذكره النحاس (٧٩/٤)، والسمرقندي (٢٩٢/٢) ونسبه لقتادة، والثعلبي (٢٤/٦) ونسباه لقتادة، ومكي (٤٠٢٤/٦) ونسبه للحسن. والحسن هو ابن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ولد آخر خلافة عمر ﷺ، روى عن عمران بن حصين، والمغيرة بن شعبة، وسمرة بن جندب ﷺ وغيرهم، وروى عنه أيوب، وثابت البناني، ومالك بن دينار وغيرهم، مات سنة ١١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٦٣/٤)، وطبقات المفسرين للداودي (١٥٠/١)، وطبقات المفسرين للأدنوي (ص١٣).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ (البخاري مع الفتح ٦٥٧٥/٤٦٣/١١). ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (مسلم مع النووي ٥٩٢٤/٥٣/١٥). والفرط:(هو الذي يتقدم الواردة فيهيئ الدلاء والرشاء ويمدر الحوض ويسقي فيه) كما في تهذيب اللغة (٣٣١/١٣)، وانظر معجم مقاييس اللغة (٤٩٠/٤) مادة (فرط).

(٥) قاله الضحاك، أخرجه عنه الطبري (٦٠٣/٧) من طريق جويبر، وبه قال أبو عبيدة (٣٦١/١)، ونسبه مكي (٤٠٢٤/٦) لأبي عبيدة والكسائي.

(٦) انظر تهذيب اللغة (٣٣٢/١٣) نقله عن الكسائي.

(٧) وهي قراءة نافع انظر المصادر في الهامش (١) (ص٣٦).

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج (١٧٠/٢)، وتهذيب اللغة (٣٣٢/١٣).

(٩) وهي قراءة أبي جعفر، ويلزم منه فتح الفاء كما في شرح الدرة المضية لمحمد بن محمد النويري (١٩٨/٢) وشرح الزبيدي على الدرة (ص٣٥٨). وانظر المصادر هامش (١) (ص٣٦).

(١٠) وصف يصدقه قوله تعالى ﴿ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ سورة الزمر آية: ٥٧.

﴿ تَٱللَّهِ ﴾[1] أي: والله. ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ ﴾ رسلاً من قبلك إلى أممهم ﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾[للأمم][2] ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾كفرهم ومعاصيهم ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ﴾ أي: محبوبهم وناصرهم وإمامهم ﴿ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ أي: في الدنيا، وقيل معناه: يقال لهم في الآخرة هذا وليكم اليوم فاطلبوا منه أن ينصركم[3]. ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة.

﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾[4] أي: ما نزلنا عليك القرآن إلا بياناً للاختلاف ﴿ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ ﴾لمن آمن به. ثم أرشد الله تعالى خلقه إلى الاستدلال بإحياء الأرض على البعث فقال:

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ ﴾[5] الآية./ [٤١٣]

﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗ ﴾[6] أي: دلالة لمن اعتبر. ﴿نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾ أي: في بطون بطون الأنعام، وأتى بلفظ التذكير هنا؛ لأن العرب تخبر عن الأنعام بلفظ الواحد وبلفظ الجمع، ويقولون: هذا نَعَمٌ وارد[7]، وقال الكسائي[8] [تقديره][1]: مما في بطون ما ذكرناه[2]،

---

(١) سورة النحل آية: ٦٣.

(٢) ساقط من (ك).

(٣) قال الزمخشري (٣٣٤/٢): (﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ﴾ حكاية للحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار؛ أي: فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره؛ نفياً للناصر لهم على أبلغ الوجوه) وبمعناه ذكره مكي (٤٠٢٥/٦ – ٤٠٢٦)، والقرطبي (٣٤٩/١٢)، وانظر: التفسير الكبير (٢٣٠/٧).

(٤) سورة النحل آية: ٦٤.

(٥) سورة النحل آية: ٦٥.

(٦) سورة النحل آية: ٦٦.

(٧) قال سيبويه في الكتاب (٢٣٠/٣): (وأما أفعال فقد يقع للواحد؛ من العرب من يقول: هو الأنعام، وقال الله عز وجل ﴿نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾) وذهب إلى هذا أبو عبيدة (٣٦٢/١)، وانظر الهداية (٤٠٢٨/٦). قال النحاس في إعراب القرآن (٤٠١/٢): (وهو أحسنها)؛ أي: المذاهب في الضمير.

(٨) هو علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم، أبو الحسن، ولد في حدود سنة ١٢٠هـ، قرأ على حمزة الزيات، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وأخذ اللغة عن الخليل بن أحمد، قرأ عليه أبو عمرو الدوري، وأبو عبيد القاسم بن سلام، من مؤلفاته: معاني القرآن، والنوادر الكبير، وكتاب =

ذكرناه[٢]، وقال أبو عبيدة[٣] تقديره: مما في بطون ما له لبنٌ؛ يعنى الإناث[٤]، وقيل تقديره: مما في بطون بعض الأنعام؛ فالهاء ضمير البعض[٥] وهو مذكر في اللفظ. ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ﴾ والفرث ما يجتمع من الكرش[٦]؛ ومعناه: أن الله يخرج اللبن بقدرته من بين وسخ ودم فيخرج

=

القراءات، توفي سنة ١٨٩هـ. انظر: طبقات القراء للذهبي (١٤٩/١)، وغاية النهاية لابن الجزري (٥٣٥/١).

(١) ساقط من (ك).

(٢) ذكره الفراء (١٠٩/٢) وصوبه، ونقله عنه النحاس في إعراب القرآن (٤٠١/٢)، وذكره مكي (٤٠٢٨/٦). ووجهه الكسائي بأن (التذكير على (البعض) أي: نسقيكم مما في بطون بعض الأنعام) كما في الهداية.

(٣) هو معمر بن المثنى البصري، مولى بني تيم، تيم قريش، ولد سنة ١١٠هـ، وقيل غير ذلك، أخذ عن يونس بن حبيب، وأبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو عثمان المازني، وأبو حاتم السجستاني وغيرهم، ومات سنة ٢٠٨هـ، وقيل غير ذلك. انظر: معجم الأدباء لياقوت (٢٧٠٤/٦)، وبغية الوعاة للسيوطي (٢٩٤/٢)، وطبقات المفسرين للداودي (٣٢٦/٢-٣٢٨).

(٤) لم أجده في مجاز القرآن، وذكره النحاس في إعراب القرآن (٤٠٢/٢) من حكاية أبي عبيد عن أبي عبيدة، بلفظ (نسقيكم مما في بطون أيها كان له لبن؛ لأنه ليست كلها لها لبن)، ومكي (٤٠٢٨/٦)، وهو قريب من قول الكسائي غير أنه أوقعه على (ما) في قوله﴿مِّمَّا﴾.

(٥) به وجه الكسائي قوله كما تقدم في الهامش قبل السابق. أقول: وكل الأقوال سلك فيها مسلك التقدير لتوجيه الإفراد في الضمير، وحكاية سيبويه ذلك عن العرب في ذكر (أفعال) بضمير الواحد لا يحتاج إلى تقدير، والقول المجانب للتقدير أولى من المحتاج إلى تقدير. وذهب الفراء في معاني القرآن (١٠٨/٢) إلى أن (النعم والأنعام شيئ واحد وهما جمعان، فرجع التذكير إلى معنى النعم إذ كان يؤدي عن الأنعام) ثم استشهد على ذلك. أقول: وهو قول قائم على ضرب من التأويل وعليه فما ذهب إليه سيبويه أولى لخلوه من التأويل والتقدير والله تعالى أعلى وأعلم.

(٦) من السرجين وهو اسم للخارج من النعم. انظر ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن (ص٢٩٥) لأبي عمر البغدادي المعروف بغلام ثعلب، والمفردات للراغب (ص٣٧٦) مادة (فرث)، وبهجة الأريب لابن التركماني (ص٢٣٧).

[لبناً][1]

﴿خَالِصًا﴾من الأوساخ ﴿سَآئِغًا﴾ أي: هنيئاً سهلاً ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾لا يَغَصُّ به أحد.

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ﴾[2] كالبسر والرطب والتمر[3] ﴿ ❐◆ ﴾ من ﴿ ✂🕶❀☞↖⇳☪◆🕔💾✍ ﴾ ما

﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾أي: خمراً مسكراً، وهذا قبل تحريم الخمر، فهو منسوخ[4] عند أكثر العلماء[5]، والصحيح أن هذا لا يسمى نسخاً[6]؛ لأن الله لم يأمر

---

(١) ساقط من (غ).

(٢) سورة النحل آية: ٦٧.

(٣) طلع النخل إذا عظم ولون ولم ينضح فهو البسر، وإذا نضج فهو الرطب، وبعده يكون تمراً. انظر تهذيب اللغة (٤١٢/١٢) مادة (بسر) و (٣٣٩/١٣) مادة (رطب)، ولسان العرب (٤٠٥/١)، والقاموس المحيط (ص٤٤٧) مادة (بسر).

(٤) بآية المائدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آية: ٩٠. والنسخ: رفع الحكم الشرعي الثابت بخطاب شرعي بخطاب شرعي متأخر. انظر: روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة (٢٨٣/١)، وشرح المحلي على جمع الجوامع لابن السبكي (٧٥/٢)، ونشر البنود على مراقي السعود لسيدي عبد الله العلوي (٢٨٠/١)، ونثر الورود شرح مراقي السعود للشنقيطي (٣٤٢/١).

(٥) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣٦/٤) لأبي داود في ناسخه وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس. وقال به إبراهيم النخعي والشعبي وأبو رزين وقتادة؛ أخرجه عنهم الطبري (٦٠٩/٧-٦١٠)، والبيهقي - عدا قتادة- في السنن الكبرى (٢٩٧/٨)، وعن قتادة عبد الرزاق في تفسيره (٢٧١/٢)، ونسبه الجصاص (٢٤٠/٣) للنخعي والشعبي وأبي رزين وأبي زرعة بن عمرو بن جرير، وزاد السمعاني (١٨٤/٣) نسبته لمجاهد ومن تقدم عدا ابن عباس وأبي زرعة. أقول: ورجح القول بالنسخ جمع من العلماء؛ منهم النحاس (٨٢/٤)، والسمعاني (١٨٤/٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٢٩/٥)، وابن العربي (١١٥٣/٣- ١١٥٥). قال الجصاص: (وقولهم إنه منسوخ بتحريم الخمر يدل على أن الآية اقتضت إباحة السكر وهو الخمر والنبيذ).

(٦) وبه قال ابن عطية (٤٥٩/٨) حيث قال: (وقال بعض الفرقة التي رأت السَّكَر الخمرَ إن هذه الآية الآية منسوخة بتحريم الخمر، وفي هذه المقالة دَرَك؛ لأن النسخ إنما يكون في حكم مستقر مشروع)، =

[في هذه الآية][1] بشربه[2]، وإنما هو إخبار عما كانوا يفعلون؛ فإنهم كانوا يعصرون الخمر والخل[3]، وقيل السَّكَر: كلما سد الجوع من قولهم: سكرت الباب؛ أي: سددته[4]، والسَّكر: التمر[5] والزبيب [ونحوه][6]. [والرزق الحسن][7]: الخل وكل طعام يصنع من تمر أو عنب كالرب[8] والدبس[9] وسقر[1] الرطب وغيره، وقيل: هو كلما يدخر من

=

ومثله علي الخازن في لباب التأويل في معاني التنزيل (١٣٣/٣).

(١) ساقط من (غ).

(٢) فالآية خبر لا إنشاء.

(٣) فلا مانع من أن يكون خبراً عما يفعلونه وتقريراً لبعض ما فيها من المنافع في سياق ذكر منافع هاتين الثمرتين وقد قال الله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ سورة البقرة آية: ٢١٩، والأمر إن ورد بصيغة الخبر فالصحيح أنه يُنْسَخُ، والنسخ لما تضمنه من حكم وذلك كقوله ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾البقرة آية: ٢٣٣ وغيرها، كما في الغيث الهامع على جمع الجوامع لولي الدين العراقي (٤٤٢/٢- ٤٤٣)، وشرح الكوكب المنير لابن النجار الفتوحي (٥٣٨/٣- ٥٣٩). وانظر أحكام القرآن لابن العربي (١١٥٣/٣)، والتفسير الكبير (٢٣٥/٦. والله تعالى أعلى وأعلم.

(٤) ذكره مكي (٤٠٣٣/٦)، وابن العربي (١١٥٣/٣)، والبيضاوي (ص٣٦٠)، والخازن في لباب التأويل في معاني التنزيل (١٣٣/٣). والتمر والزبيب مما يسد الجوع. كما في لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٣٣/٣).

(٥) في (ك) الثمر.

(٦) ساقط من (ك).

(٧) ما بين المعقوفين بدل منه في (ك) ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ .

(٨) وهو (الطلاء الخاثر، وقيل: هو دبس كل ثمرة، وهو سُلاَفَة خُثَارَتِها بعد الاعتصار والطبخ) كما في لسان العرب (٩٩/٥ مادة (ربب)، وفي المصباح المنير للفيومي (١١٣/١) (الرب: دبس الرطب إذا طبخ).

(٩) قال ابن فارس (٣٢٦/٢) مادة (دبس): (الدال والباء والسين أصل يدل على عصارة في لون ليس بناصع، من ذلك الدبس وهو الصقر)، وفي تهذيب اللغة (٣٧٣/١٢) مادة (دبس) (قال الليث: الدبس عصارة الرطب) وفي لسان العرب (٢٨٥/٤) مادة (دبس) (والدِّبْس والدَّبس: عسل التمر وعصارته، وقال أبو حنيفة: هو عصارة الرطب من غير طبخ، وقيل: هو ما يسيل من الرطب).

ثمراتها[٢].

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾[٣] أي: ألهمها ﴿ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ ﴾ بيوتاً أيضاً ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ أي: ومما يعرش بنو آدم من الكروم[٤] ويصنعون من السقوف ويبنون من بيوت النحل؛ وهي: الأجباح[٥].

﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[٦] أي: ارعي حيث شئت ﴿ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ﴾ أي: اذهبي في طرق أرض ربك قد سهلها لك وجعلها ﴿ ذُلُلًا ۚ ﴾ أي: متذللة سهلاً، فالذُّلُلُ وصف الطرق وهو اختيار الطبري[٧]، وقيل: هو وصف للنحل[٨]؛ معناه: أن الله جعلها مذللة[١] لبني آدم

=

(١) جاء في تهذيب اللغة (٣٦٤/٨) مادة (صقر) عن الليث (والصقر ما تَحَلَّبَ من العنب والتمر من غير عصر... وهو بالصاد أحسن) أي: من نطقه بالسين، وفي المصباح المنير للفيومي (٧٩/١) (صقر الرطب: دبسه قبل أن يطبخ، وهو ما يسيل منه كالعسل)، قال ابن فارس (٢٩٧/٣) مادة (صقر):(فأما الدبس وتسميتهم إياه صقراً فهو من كلام أهل المدر، وليس بذلك الخالص من لغة العرب). أقول: قارن كلامه بما في الهامش السابق.

(٢) لم أقف على من قال به أو ذكره فسبحان من لا يخفى عليه شيء.

(٣) سورة النحل آية: ٦٨.

(٤) في (ك) الكرم، وهو مفرد كروم. والمراد به شجر العنب وقد ورد النهي عن تسمية العنب كرماً؛ ففي صحيح البخاري في كتاب الأدب باب لا تسبوا الدهر (البخاري مع الفتح ٦١٨٣/٥٦٦/١٠) " لا تسموا العنب الكرم... " وفي صحيح مسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب كراهة تسمية العنب كرماً (النووي مع مسلم ٥٨٣٢/٧/١٥- ٥٨٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ " لا يقولن أحدكم للعنب الكرم إنما الكرم الرجل المسلم " وبلفظ " لا يقولن أحدكم الكرم فإنما الكرم قلب المؤمن ". قال النووي في شرح مسلم (٧/١٥): (ففي هذه الأحاديث كراهة تسمية العنب كرماً).

(٥) جمع جِبْح وجَبْح انظر تهذيب اللغة (١٦٥/٤)، ولسان العرب (١٥٤/٢) مادة (جَبَح).

(٦) سورة النحل آية: ٦٩.

(٧) انظر جامع البيان (٦١٣/٧).

(٨) قاله قتادة؛ أخرجه الطبري (٦١٣/٧) من طريق معمر وسعيد بن أبي عروبة ولفظه (﴿ ذُلُلًا ﴾ مطيعة)، وبه قال النحاس في معاني القرآن (٦٤/٤) ووجهه بقوله: (فهي منقادة مسخرة)، وذكره =

لينتفعوا بها، فهو كقوله ﴿ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ ﴾[٢]، و﴿ ذُلُلًا ﴾ منصوبٌ على الحال[٣]. ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ ﴾ وهو العسل ﴿ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ فيه أسود وأحمر وأبيض، ويختلف طعمه على حسب اختلاف مراعيها. ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ ﴾أي: في العسل دواءٌ من الأمراض.

﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾[٤] أي: أردؤه وأضعفه؛ وهو الكبر والهرم. ﴿ لِكَيْ ﴾أي: حتى [٤١٤] يصير الشيخ ﴿ لَا يَعْلَمَ ﴾ولا يفهمَ ﴿ شَيْـًٔا ﴾بعد ما كان عنده علم وفهم؛ وهذه خِفَّة في العقل تلحق الشيوخ في الغالب.

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾[٥] أي: جعل منكم أغنياء وفقراء وسادة ومماليك. ﴿ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ ﴾ أي: ما السادة الأغنياء بالذين يردون أرزاقهم فيعطونها لمماليكهم حتى يكونوا سواءً، فإذا كنتم لا ترضون بمشاركة مماليككم فكيف جعلتم لله شركاء من خلقه. ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ فيشكرون غير المنعم سبحانه.

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾[٦] أي: من جنسكم نساءً تتزوجون بهن، وقيل المراد به: خلق حواء من ظلع آدم[٧]. ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ ﴾أي: أولاداً ذكوراً ﴿ وَحَفَدَةً ﴾أي: خداماً يخدمونكم[من أولادكم][٨]؛ قاله ابن عباس ﷺ وعكرمة[١]. ومنه

=

الفراء (١٠٩/٢) ووجهه بقوله:(أي: ذللت لأن يخرج الشراب من بطونها).

(١) في (ك): متذللة.

(٢) سورة يس آية: ٧٢.

(٣) انظر: التبيان للعكبري (٦٧/٢)، والدر المصون (٢٦٢/٧).

(٤) سورة النحل آية: ٧٠.

(٥) سورة النحل آية: ٧١.

(٦) سورة النحل آية: ٧٢.

(٧) قاله قتادة؛ أخرجه الطبري (٦١٦/٧)، قال الماوردي (٢٠٢/٣): (قاله الأكثرون)، والسياق يرجح العموم فما قبلها وما بعدها في ذكر منن الله سبحانه على الجاحدين لنعم الله عليهم بالإشراك به وعليه فتفسيرها بلفظ العموم (من جنسكم نساء تتزوجون بهن) أقرب كما فسر به المصنف.

(٨) ساقط من (غ).

قولنا في القنوت: إليك نسعى ونحفد[2]، أي: نخدم، وقيل الحفدة: أولاد الأولاد[3]، وقيل: هم الربائب[4]، وقيل: الأصهار[5]، واشتقاق[6] الجميع من الخدمة[7]،

=

(١) لم أقف على من نسبه لابن عباس بما بين المعقوفين. وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٧٣/٢) والطبري (٦١٨/٧- ٦١٩) عن معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة، وسنده صحيح.

(٢) وهو جزء من قنوت أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢١٠/٢) من طريق خالد بن أبي عمران قال بينا رسول الله ﷺ يدعو على مضر.... " اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد... " وهذا مرسل كما قال البيهقي، وأخرجه أيضاً (٢١١/٢) من طريق عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه قال: صليت خلف عمر بن الخطاب ﷺ صلاة الصبح فسمعته يقول بعد القراءة قبل الركوع: (اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك....) وسنده صحيح كما قال البيهقي، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٧١/٢).

(٣) قاله زر بن حبيش؛ أخرجه عنه عبد الرزاق في تفسيره (٢٧٣/٢)، والطبري (٦١٧/٧)، ونسبه البغوي (٣١/٥) لابن عباس من طريق مجاهد وسعيد بن جبير عنه، والماوردي (٢٠٢/٣) لابن عباس.

(٤) قاله ابن عباس؛ أخرجه عنه الطبري (٧٢٠/٧) من طريق العوفي، وذكره السمعاني (١٨٨/٣)، ونسبه الماوردي (٢٠٢/٣) لابن عباس.

(٥) قاله ابن مسعود؛ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٧٣/٢) من طريق زر بن حبيش، والطبري (٦١٧/٧) من طريق زر، والنحاس (٨٨/٤) من طريق زر، ونسبه النحاس لإبراهيم النخعي أيضاً.

(٦) والاشتقاق: رد لفظ إلى لفظ آخر بأن يحكم بأن الأول مأخوذ من الثاني؛ أي: فرع عنه ولو كان الثاني مجازاً لمناسبة بينهما. انظر: الغيث الهامع شرح جمع الجوامع لولي الدين العراقي (١٥٥/١)، وشرح المحلى على جمع الجوامع (٢٨٠/١)، وفتح الودود على مراقي السعود للولاتي (ص٧١).

(٧) فلو أرجعنا لفظ ﴿❍⍓▦☒⑨⍓☐☪﴾ إلى أصلها الذي اشتقت منه تبين أن ما ذكر من المعاني هو من أفراد هذا اللفظ، إذ هو في أصله اللغوي السرعة والخفة في العمل والخدمة. انظر معجم مقاييس اللغة ٨٤/٢ مادة (حفد)، وتهذيب اللغة (٤٢٦/٤). وعليه فقد ذهب بعضهم إلى أن ﴿❍⍓▦☒⑨⍓☐☪﴾ شامل لكل ما ذكر وكل من يصدق عليه وصف الخدمة كالطبري (٦٢٢/٧) وتصحيح كل ما قيل في ذلك لصدق الوصف عليه وتقديمه العموم الشامل لكل ذلك دون تخصيص. أقول: وإذا نظرنا إلى لفظ ﴿❍⍓▦☒⑨⍓☐☪﴾ وجعله معطوفاً على ﴿بَنِينَ﴾ فيخص به أعوان الرجل من قبل زوجه من أولاد الأولاد والأصهار وأبناء الزوجة من غيره، وإن جعل معطوفاً على ﴿أَزْوَٰجًا﴾

=

والحفدة جمع حافد، والأصهار أهل الزوج[1]، والأختان[2]: أهل الزوجة[3]، وقيل: بالعكس[4]. ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أبالشرك يصدقون ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ أي: يجحدون النعم بالشرك وبتحريم ما أحل الله من السائبة[5] والبحيرة[6] ونحوها.

=

في قوله تعالى أول الآية ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ ففي الكلام تقديم وتأخير فيكون شاملاً لكل من يقع عليه وصف الخدمة والعون للرجل. انظر معاني القرآن للنحاس (٩٠/٤) وللزجاج (١٧٣/٣)، والتفسير الكبير (٢٤٥/٧)، وتفسير ابن كثير (٥٩٩/٢).

(١) لم أقف على من خص أهل الزوج بالأصهار إلا ما أشار إليه النحاس (٨٩/٤)عن ابن الأعرابي، ومفاده أن الأصهار من قبل الزوج والأختان من قبل الزوجة. وإنما وصفهم البعض بالأختان كالليث والخليل كما سيأتي، ومن العرب من يطلق الأصهار على من كان من قبل الزوج والزوجة جميعاً كما في تهذيب اللغة (١٠٧/٦)، ومعجم مقاييس اللغة (٣١٥/٣) ولسان العرب (٤٢٨/٧) مادة (صهر).

(٢) في (غ) والأخدان، وهو تحريف.

(٣) كالأب والأخ ونحوهم. انظر الصحاح (٢١٠٧/٥)، وتهذيب اللغة (٣٠٠/٧) مادة (ختن). قال الجوهري:(هكذا عند العرب، وأما عند العامة فختن الرجل زوج ابنته).

(٤) قاله الليث كما في تهذيب اللغة (١٠٧/٦)، والخليل كما في معجم مقاييس اللغة (٣١٥/٣)، وذكره ابن منظور في لسان العرب (٤٢٨/٧) مادة (صهر).

(٥) وأصل المادة (سيب) وهو (يدل على استمرار الشيء وذهابه) كما في معجم مقاييس اللغة (١١٩/٢)، قال الليث (سيبت الدابة أو الشيء؛ إذا تركته يسيب حيث شاء) كما في تهذيب اللغة (٩٨/١٣) مادة (سيب). واختلف في المراد بالسائبة فقيل:

- ما سيب بنذر لقدوم من سفر أو بُرْء مرض؛ فلا يُنْتَفَعُ بظهرها، ولا تُخَلَّى عن ماء ولا تمنع من مرعى؛ قاله أبو إسحاق كما في تهذيب اللغة (٩٩/١٣) مادة (سيب).
- المسيبة: إذا كبرت سيبت فلا يحمل عليها شيء. كما في ياقوتة الصراط للبغدادي (ص٢١٣).
- التي سيبت في المرعى فلا ترد عن حوض ولا علف؛ وذلك إذا ولدت خمسة أبطن. كما في المفردات (ص٢٥٥).
- الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيبت. كما في القاموس المحيط (ص١٢٦) مادة (سيب).
- وقيل بأن ينزع من ظهر الدابة فقرة فيعرف بأنها سائبة. كما في المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة (٥٨٧/٨) مادة (سيب) وقيل غير ذلك.

(٦) (وأصل البحر: كل مكانٍ واسعٍ جامعٍ للماءِ الكثير... ويقال: بحرتِ كذا؛ أوسعتَه سعةً البحر تشبيهاً به، =

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا ﴾[1] أي: لا يقدر على إنزال المطر ولا يقدر على أن ينبت من الأرض نباتاً ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ أي: لا تقدر الأصنام على شيء من ذلك. و﴿ شَيْـًٔا ﴾ بدل من رزقاً[2]، وقيل: هو منصوب على حذف التنوين[3]؛ وتقديره: رزقَ شيءٍ؛ ومثله ﴿ كِفَاتًا أَحْيَآءً ﴾[4] وتقديره: كفاتَ أحياءٍ.

﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[5] أي: لا تجعلوا الأصنام أمثالاً لله في الربوبيّة؛ فتعتقدون أن الله

=

ومنه بحرت البعير شققت أذنه شقاً واسعاً) المفردات للراغب (ص٤٨). وعليه فالبحر في كلام العرب الشق كما في تهذيب اللغة (٣٧/٥) مادة (بحر). واختلف في المراد بالبحيرة في كتاب الله:

- قال أبو إسحاق النحوي: (أثبت ما روينا عن أهل اللغة في البحيرة أنها الناقة كانت إذا نُتِجَت خمسةَ أبطن فكان آخرها ذكراً بحروا أذنها؛ أي: شقوها ولا تمنع من مرعى، وإذا لقيها المعْيِي المنقَطَعُ به لم يركبها).
- وقال الليث:(البحيرة الناقة إذا نُتِجَت عشرةَ أبطن لم تركب ولم ينتفع بظهرها فنهى الله عن ذلك) كلا القولين في تهذيب اللغة (٣٧/٥-٣٨) مادة (بحر).
- وقيل: (الشاة إذا نُتِجَتْ عشرة أبطن شقوا أذنها وتركوها لا تمنع من ماء ولا مرعى، فإذا ماتت أكلها الرجال وكانت حراماً على النساء) الاشتقاق لابن دريد (ص٩٣).
- وقيل ما بعد البطن العاشر من ولد السائبة يبحر أذنها وحكمها حكم أمها. النهاية لابن الأثير (١٠٠/١) مادة (بحر). وقيل غير ذلك مما اختلفوا في وصف هذه المسميات. وانظر جامع البيان (٨٩/٥)، والقاموس المحيط (ص٤٤١-٤٤٢) مادة (بحر) ورجح الأزهري القول الأول.

(١) سورة النحل آية: ٧٣.

(٢) وعليه فالرزق اسم بمعنى المرزوق قليلاً كان أو كثيراً؛ والمعنى لا يملكون لهم رزقاً قليلاً أو كثيراً. وهو رأي الأخفش وغيره من البصريين. انظر إعراب القرآن للنحاس (٤٠٣/٢)، والكشاف (٣٣٧/٢)، والدر المصون (٢٦٧/٧).

(٣) الخافض لـ(شيئاً) المقدر اقترانه بـ(رزقاً) العامل فيه فلما افترقا انتصب. وعلى هذا القول الأقرب أن (رِزْقاً) مصدر إذ قد ورد به السماع كما نص عليه السمين في الدر واستظهره. وقال بهذا القول الفراء (١١٠/٢). وانظر جامع البيان (٦٢١/٧)، والهداية (٤٠٤٦/٦)، والدر المصون (٢٦٦/٧-٢٦٨). والله تعالى أعلى وأعلم.

(٤) سورة المرسلات آية: ٢٥- ٢٦.

(٥) سورة النحل آية: ٧٤.

يحتاج إلى شريك أو وزير، وإنما يحتاج إلى الوزراء من هو جاهل بالعواقب. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾[1] أي: لا يملك شيئاً، وآخر رزقه الله مالاً ﴿ فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾ هل يستوي العبد الفقير [العاجز][2] والسيد الغني القادر؟ لا/يستويان مع كونهما مخلوقين، فكيف يستوي[3] عبادة الصنم وعبادة الله؟. ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أي [٤١٥] الثناء الحسن بالوحدانية لله وإنما ﴿ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [ذلك][4] .

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾[5] آخر. ﴿ رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ ﴾أي: أخرس ﴿ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ ﴾أي: هو ضرر على من يتولى أمره من أهله. ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ ﴾ وليُّه ﴿ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ [أي: لا يأت][6] بشيء ينفع ولا يحسن قضاء حاجة. ﴿ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾أي: هل يتساوى هذا الأبكم العاجز وآخر متكلم آمر بالحق ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [على][7] طريق قويم؛ ينفع ويعطي ويسعف من قصده ويقضي حوائج من طلبه. والعبد المملوك الأبكم العاجز[8] مَثَل الصنم[9]، وقيل: مثل الكافر[10]، والغني الآمر بالعدل

---

(١) سورة النحل آية: ٧٥.

(٢) ساقط من (ك).

(٣) في (ك) تستوي.

(٤) ساقط من (غ).

(٥) سورة النحل آية: ٧٦.

(٦) ساقط من (غ).

(٧) زيادة من (غ).

(٨) في (ك): العاجز الأبكم.

(٩) قاله مجاهد في المثلين؛ أخرجه الطبري (٦٢٣/٧)، وقتادة في المثل الثاني؛ أخرجه عنه عبد الرزاق (٧٥/٢)، والطبري ٦٢٢/٧، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣٩/٤) لابن المنذر عن ابن عباس من طريق ابن جريج، وابن أبي حاتم عن الحسن في المثل الأول.

(١٠) قاله ابن عباس وقتادة في المثل الأول؛ أخرجه عنهما الطبري (٦٢٢/٧)، وعبد الرزاق عن قتادة (٢٧٤/٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٤٩/٤) لابن أبي حاتم عن ابن عباس، وابن حميد =

بالعدل المتفضل مثل لله عز وجل[1]، وقيل: مثل للمؤمن[2]. وقيل: إن الرجلين اللذين ضُرِب المثلُ بهما رجلان معروفان؛ فالأبكم[3]: أبو جهل[4]، وقيل: [أسيد بن أبي] العاص[5]، وقيل: أبي بن خلف[6]، والآخر أبو بكر الصديق[7]، وقيل: عثمان بن عفان[8]، وقيل: حمزة بن عبد المطلب[9].

=

وابن أبي حاتم عن قتادة.

(١) قاله مجاهد وقتادة في المثل الثاني؛ أخرجه عنهما الطبري (٦٢٣/٧)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٤٩/٤) لابن المنذر عن ابن عباس، وابن أبي حاتم عن ابن عباس والسدي.

(٢) قاله ابن عباس وقتادة في المثل الأول؛ أخرجه عنهما الطبري وغيره انظر الهامش قبل السابق. وبه قال ابن عباس في المثل الثاني؛ أخرجه الطبري (٦٢٣/٧).

(٣) في (ك) الأبكم.

(٤) نسبه الثعلبي (٣٢/٦) والبغوي (٣٣/٥) لعطاء من طريق جريج، وذكره مكي (٤٠٤٩/٦) في تفسير العبد في المثل الأول. ونقله الأدكاوي في ترويح أولي الدماثة (٢٧٥/١).

(٥) في كلا النسختين: [أسد بن العاص] والمثبت من معاني القرآن للنحاس (٩٣/٤)، والهداية (٤٠٥١/٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٩٠/٣)، ومفحمات الأقران للسيوطي (ص٦٣)، وترويح أولي الدماثة للأدكاوي (٢٧٥/١) وكلهم ذكروه في المثل الثاني.

(٦) ذكره مكي (٤٠٥١/٦)، والبغوي (٣٤/٥) ونسبه لعطاء، وكلاهما في المثل الثاني.

(٧) ذكره الثعلبي (٣٢/٦)، عن عطاء من طريق ابن جريج، ومكي (٤٠٤٩/٦)، والبغوي (٣٣/٥) كلهم فسروا به ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ في المثل الأول، والأدكاوي في ترويح أولي الدماثة (٢٧٦/١) عن البلنسي أنها نزلت في أبي بكر الصديق.

(٨) قاله ابن عباس؛ أخرجه عنه الطبري (٦٢٤/٧)، والنحاس في معاني القرآن (٩٣/٤)، وذكره مكي (٤٠٥١/٦)، والسمعاني (١٩/٣)، والبغوي (٣٣/٥) عن عطاء من طريق ابن جريج، وكلهم فسروا به ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ في المثل الثاني.

(٩) ذكره مكي (٤٠٥١/٦)، والبغوي (٣٤/٥) ونسبه لعطاء، والأدكاوي في ترويح أولي الدماثة (٢٧٥/١) عن ابن عسكر، وكلهم فسروا به ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ في المثل الثاني. أقول: الآيتان واردتان في سياق بيان استحقاق الله للعبودية – دون سواه – بذكر ما يختص به من الصفات والعطايا والمنح لعباده، وعليه فالأقرب أنهما مثلان لله ولما يعبد من دونه. قال ابن عطية (٤٧٦/٨) – بعد أن قرر هذا –:(وهذا التأويل أصوب؛ لأن الآية تكون من معنى ما قبلها وما بعدها في تبيين أمر الله تبارك وتعالى والرد على الأصنام، وذكر الطبري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه =

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] أي: يعلم ما غاب عنكم في السموات أو في الأرض. ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾أي: ما قيام الساعة وإحياء الموتى في قدرة الله تعالى إلا كلمحة بصر أحدكم في السرعة وسهولة الفعل. ﴿ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ من لمحة البصر؛ فإن لمحة البصر من الإنسان بمباشرة وحركة، وقيام الساعة بفعل الله من غير معاناة ولا مباشرة. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾فهو قادر على بعثكم كما خلقكم.

و﴿ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾[2] لا تفقهون ثم خلق لكم سمعاً وبصراً[3] وأفئدة؛ أي: قلوباً؛ ومعناه: فهماً وعقلاً في القلوب.

قوله تعالى﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[4] أي: ألا تستدلون أيضاً على كمال قدرة الله بإمساك الطير في الهواء؛ وهو الجو الذي بين السماء والأرض.

=

قال: نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان ﷺ وعبدٍ كان له، وروي تعيينُ غيرِ هذا لا يصح إسناده، والمثال لا يحتاج إلى تعيين أحد). وقد قرر هذا المعنى ابن قيم الجوزية في عدد من كتبه وسلك مسلك ابن عطية في الترجيح لهذا المعنى حيث قال في إعلام الموقعين (١/١٨٩-١٩٠):(هذان مثلان متضمنان قياسين من قياس العكس... فالمثل الأول ما ضربه الله سبحانه وتعالى لنفسه وللأوثان... وأما المثل الثاني فهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لنفسه ولما يعبد من دونه...)، وقال في مدارج السالكين (١/ ١٨) - بعد أن قرر أن معنى الآية الثانية إنما هو مثل لله سبحانه وللأصنام -:(هذا أصح الأقوال في الآية وهو الذي لم يذكر كثير من المفسرين غيره، ومن ذكر غيره قدمه على الأقوال ثم حكاها بعده كما فعل البغوي، فإنه جزم به وجعله تفسير الآية ثم قال: وقال الكلبي...). وقد سلك مسلك الجمع في المثل الثاني في المدارج (١/٢٠) حيث قال ما معناه؛ فالله ورسوله والمؤمنون على صراط مستقيم والأصنام والأوثان وعابدوها بخلاف ذلك وأنه لا تعارض بين ما قرره وما روي من التعيين للأشخاص في المثل. والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) سورة النحل آية: ٧٧.

(٢) سورة النحل آية: ٧٨.

(٣) في (ك) وأبصاراً.

(٤) سورة النحل آية: ٧٩.

[٤١٨] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾[١] أي: مساكن تسكنون فيها عن الحركات وتسكن نفوسكم إليها طمأنينة وسترا وحفظاً وحرمة. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ وهي الخيام التي تصنع من الجلود ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: تقصدون بها خفة المحمل وسهولة النقل ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ أي: سفركم. ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ أي: أصواف الضأن ﴿وَأَشْعَارِهَآ﴾ [أي][٢]: وأشعار[٣] المعز [ونحوها][٤]. ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ [أي][٥]: وأوبار[٦] الإبل. ﴿أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا﴾ أي: متاعاً[٧]؛ وهو جهاز البيت[٨]؛ كالكساء والقطيفة والوسادة[٩] ونحو ذلك، وسمي أثاثاً؛ لاجتماعه[١٠]، ومنه شعر أثيث؛ أي: ملتف مجتمع[١١]، قال ابن عباس ﷺ: الأثاث: المال[١٢]. وواحد الأثاث أثاثة[١٣]، وقيل: لا واحد له[١]. ومعنى الآية: وجعل لكم من الصوف وغيره جهازاً

---

(١) سورة النحل آية: ٨٠.

(٢) ساقط من (غ).

(٣) في (ك) أشعار.

(٤) ساقط من (ك).

(٥) ساقط من (غ).

(٦) في (ك) أوبار.

(٧) قاله الفراء وأبو زيد كما في تهذيب اللغة (١٦٥/١٥) مادة (أث)، وانظر تحفة الأريب لأبي حيان (ص٤٣). (ص٤٣).

(٨) قاله الليث كما في تهذيب اللغة (١٦٦/١٥) مادة (أث)، وانظر المفردات للراغب (ص١٨) مادة (أث)، والصحاح (٢٧٢/١) مادة (أثث).

(٩) انظر بهجة الأريب لابن التركماني (ص٢٣٨).

(١٠) انظر معجم مقاييس اللغة (٨/١) مادة (أث).

(١١) انظر الصحاح (٢٧٢/١) مادة (أثث)، وتاج العروس (٥٩٨/١) مادة (أث).

(١٢) أخرجه الطبري (٦٢٦/٧) من طريق عطية العوفي، ونسبه إليه الثعلبي (٣٤/٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٤٠/٤) لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(١٣) قاله أبو زيد كما في تهذيب اللغة (١٦٥/١٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٩٧/٤). وانظر معجم مقاييس اللغة (٨/١) مادة (أث) وبهجة الأريب لابن التركماني (ص٢٣٨)، قال الطبري (٦٢٦/٧): (ولم أر أهل العلم بكلام العرب يعرفونه).

وأموالاً تتمتعون بها إلى حين انقضاء آجالكم.

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا ﴾[٢] تستظلون بها من حر الشمس كالسحاب والجبال والجدران والشجر ونحو ذلك. ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا ﴾وهي الكهوف[٣]، فالكِن في اللغة: المسكن[٤]؛ لأنه يَكُنُّ صاحبه؛ أي: يستره[٥]، ومنه ﴿ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾[٦] أي: أخبيتم[٧] وسترتم[٨]، والأكنَّة: الأغطية الساترة[٩]. ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ ﴾ أي: ثياباً، واحدها سربال ﴿ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ أي: تدفع عنكم الحر، ولم يذكر البرد؛ لأن كلما يدفع الحر يدفع البرد. ﴿ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾أي: لباساً يدفع عنكم بأس الحرب كالزرَد[١٠] والخُوَذ[١١]

=

(١) كالمتاع قاله الفراء، ونص الطبري على عدم السماع له بواحد. انظر المصادر في الهامش السابق.

(٢) سورة النحل آية: ٨١.

(٣) انظر تهذيب اللغة (٤٥٤/٩) مادة (كَنَّ)، والكليات للكفوي (ص٢٣١).

(٤) انظر القاموس (ص١٥٨٤) مادة (الكِن)، والمفردات للراغب (ص٤٤٤) مادة (كَنَّ).

(٥) وهو أصل المعنى في (كَنَّ) فكل شيء وقى شيئاً فهو كِنُّه وكِنَانه. انظر معجم مقاييس اللغة (١٢٣/٥)، وتهذيب اللغة (٤٥٢/٩) مادة (كَنَّ).

(٦) سورة البقرة آية: ٢٣٥.

(٧) في (ك): أخفيتم.

(٨) هذا على رأي من لم يفرق بين (كننتَ) و (أكننتَ) كما ذهب إليه الفراء (١٥٢/١)، وأبو زيد في تهذيب اللغة (٤٥٣/٤) مادة (كَنَّ). وفرق بعضهم فخص (كننتَ) بما يستر ببيت أو ثوب وغير ذلك من الأجسام، و (أكننتَ) بما يستر في النفس كما ذهب إليه الراغب في المفردات (ص٤٤٤). وقيل غير هذا في البناءين.

(٩) انظر الصحاح (٢١٨٨/٦) مادة (كنن)، والمفردات للراغب (ص٤٤٤) مادة (كن).

(١٠) وبالسكون أيضاً، هي الدرع المزرودة أي: المنسوجة التي تداخل حِلَقُ بعضها في بعض، أو حِلَقُ المغفر؛ وهو: ما يضعه المقاتل على رأسه، وحلق الدرع، والدرع. وتجمع على زرود، والزراد صانعها. انظر الصحاح (٤٨٠/٢)، ولسان العرب (٣٤/٦)، والقاموس (ص٣٦٤) مادة (زرد).

(١١) جمع خوذة بضم أوله؛ وهي ما يصنعه المقاتل على رأسه من مغفر وبيضة ونحوهما. انظر القاموس (ص٤٢٤)، والمعجم الوسيط (٢٦١/١) مادة (خوذ) قال البعلي في المطلع (١٣٦/١): (لم أرها

=

ونحوها. ويقال: إن هذا كله على ما تعهده العرب في الحجاز، فذكر الصوف والشعر والوبر ولم يذكر القطن والكَتَّان، وذكر الجبال ولم يذكر السهل[1]، وذكر الحر ولم يذكر البَرْدَ؛ كما ذكر البَرَد في قوله ﴿ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾[2] ولم يذكر الثلج[3]، وقيل: إن المذكور من ذلك يدل على المتروك[4]. ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴾ أي: تدخلون في دين الإسلام. وقرئت في الشواذ (تَسْلَمَون) بفتح التاء واللام[5] من السلامة؛ أي: تَسْلَمُون من الحر والجراح وغير ذلك.

﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾[6] أي: يعرفون أن هذه النعم كلها من الله ثم ينكرونها بشركهم بالله، وقال السدي : ﴿نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾ هنا محمد ﷺ عرفوا أنه رسول الله ثم كذبوه[7].

﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ﴾[8] وهو رسولهم شهيد عليهم يوم القيامة. ﴿ ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ

[٤١٩]

=

في كلام العرب). وفي كلا النسختين بالدال المهملة وهو تصحيف.

(١) موضع هذه الكلمة في (ك) بياض.

(٢) سورة النور آية: ٤٣.

(٣) قاله عطاء؛ أخرجه الطبري (٦٢٨/٧)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٤٠/٤) لابن المنذر عن عطاء.

(٤) قاله الفراء (١١٢/٢)، وذكره الطبري (٦٢٩/٧). أقول وكلا المعنيين محتمل؛ ذلك أنهم خوطبوا بما هو معهود من غالب حالهم وما يجري في مقالهم.

(٥) ذكرها الفراء (١١٢/٢)، وأخرجها الطبري (٦٢٩/٧) كلاهما عن ابن عباس، والعكبري في إعراب القراءات الشواذ ٧٧٠/١ وضعف سند الطبري النحاس (٩٩/٤)، ومن حيث المعنى فالسياق في تعداد النعم المستوجبة للاستسلام لله بالإسلام، ويدل على هذا ما تقدم من السباق ويؤكده اللحاق. والله تعالى أعلى وأعلم.

(٦) سورة النحل آية: ٨٣.

(٧) أخرجه الطبري (٦٢٩/٧) عن شيخه محمد بن بشار، عن ابن مهدي، عن سفيان الثوري، عن السدي. ورجال السند ثقات غير السدي الذي مقاله مرقوم، فقد طعن عليه في كلامه في القرآن؛ وثقه بعضهم وضعفه آخرون. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٤١/٤) لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن السدي. ونص السمعاني (١٩٣/٣) بأن عليه جماعة من أهل التفسير.

(٨) سورة النحل آية: ٨٤.

لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ فيعتذرون. ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ أي: يسترضون. وقيل معناه: لا يصلون إلى فعل طاعة ترضي الله؛ لأن الوقت ليس وقت تكليف[1]. وقيل معناه: لا يردون إلى الدنيا فيعملون صالحاً[2].

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾[3] أي: الذين أشركوا عذاب جهنم. ﴿ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ [يُنظَرُونَ] ﴾ يؤخرون[4].

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ ﴾[5] أي: أصنامهم. وأضاف الشركاء هنا إلى الكفار؛ لأنهم هم الذين ادعوا أنهم شركاء لله، ولأنهم جعلوا لهم نصيباً من أموالهم. ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ ﴾ أي: نعبد ﴿ مِن دُونِكَ ﴾. ﴿ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ ﴾ أي: فقال الأصنام للكفار ﴿ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ في اتخاذنا آلهة. قيل: إن الله تعالى ينطق الأصنام[6]، ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾[7]. وقيل: [إن][8] [إن][8] هذا قول الملائكة ﴿ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ﴾[9].

---

(١) قاله الثعلبي (٣٦/٦)، والبغوي (٣٧/٥)، والزمخشري (٣٤٠/٢)، وابن الجوزي (٣٥٠/٤).

(٢) قاله الثعلبي (٣٦/٦)، والسمعاني (١٩٤/٣)، والقرطبي (٤٠٨/١٢).

(٣) سورة النحل آية: ٨٥.

(٤) هكذا في كلا النسختين وهذه اللفظة تفسير لكلمة ﴿ يُنظَرُونَ ﴾.

(٥) سورة النحل آية: ٨٦.

(٦) بما يفيد هذا المعنى قال مجاهد؛ أخرجه الطبري (٦٣١/٧) من طريق ابن أبي نجيح، وقريباً منه قال الفراء (١٢/٢)، وقرره الطبري، وبه قال ابن عطية (٨٩٠/٨)، ونص السمعاني (١٩٤/٣) على أنه الأظهر، وانظر تقريره في زاد المسير (٣٥١/٤).

(٧) سورة مريم آية: ٨٢.

(٨) ساقط من (ك).

(٩) سورة سبأ آية: ٤١. ذكره السمعاني (١٩٤/٣)، والقرطبي (٤٠٩/١٢). أقول ولا منع من جمع فسيكذبهم من له عقل ممن عبدوهم، وينطق الله بقدرته الأوثان والأصنام كما أنطق أعضاءهم في الشهادة عليهم ذلك اليوم. والله تعالى أعلى وأعلم.

﴿ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ﴾[1] أي: استسلموا يوم القيامة لحكم الله ولم يقدروا على المعاندة.

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾[2] أي: منعوا الناس عن الإيمان يزيدهم الله عذاباً بذنوب من صدُّوه عن الإيمان فوق العذاب الذي استحقوه بكفرهم.

﴿ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾ في الأرض بصد الناس عن الإيمان، وقيل: إن الله تعالى يزيد الكفار في النار عذاباً في كل وقت فوق ما كانوا فيه من العذاب[3]، وقيل: إنهم يستغيثون من النار فيُلْقَون فيُلْقَون في الزمهرير؛ فيجدون من ألم البرد ما يستغيثون منه إلى النار[4]، وروي عن رسول الله ﷺأنه أنه قال:

"زيدوا عقارب أمثال النخل الطوال تنهشهم في جهنم "[5]، وقال ابن مسعود[6] رضي الله عنه: (إنه ليسمع ليسمع للهوام بين أطباق جلد الكافر جلبة الوحش في البرية، وإن غلظ جلده أربعون ذراعاً)[7].

---

(١) سورة النحل آية: ٨٧.

(٢) سورة النحل آية: ٨٨. والآية في كلا النسختين خطأ حيث كتبت (إن الذين كفروا).

(٣) ذكره السمرقندي (١/٣٠١).

(٤) ذكره الثعلبي (٦/٣٦)، ومكي (٦/٤٠٦٨)، والسمعاني (٣/١٩٥)، والبغوي (٥/٣٨).

(٥) أخرجه أسد بن موسى في الزهد (١/٢٩) قال: ثنا إسماعيل بن عياش عن الربيع عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ سئل عن قول الله تبارك وتعالى ﴿ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾قال:" عقارب أمثال النخل الطوال تنهشهم في جهنم" وفي تالي تلخيص المتشابه للخطيب البغدادي (٢/٥٣٢) من طريق أبان بن أبي عياش عن الربيع بن لوط عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ سئل عن قول الله تعالى ﴿ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾ قال: "عقارب أمثال النخل الطوال تنهشهم" والطبراني من طريق إسماعيل بن عياش كما في النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١/٢٠٧)، وأخرجه عبد الرزاق موقوفاً عن ابن مسعود (٢/٢٨٠) قال:(زيدوا عقارب أنيابها أمثال النخل الطوال). أقول: ولم أقف على من نص على رواية اسماعيل بن عياش عن الربيع بن لوط في سند أسد بن موسى وهو الذي عند الطبراني، وأبان بن أبي عياش متروك الحديث كما في تهذيب الكمال (٢/٢١) وتقريب التهذيب (ص٢٧). والله تعالى أعلى وأعلم.

(٦) في (ك) عباس.

(٧) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/٤٩١/١١٢٧) قال حدثني الحكم بن موسى نا شهاب بن خراش =

وروي: "أن الكافر يعظم جسمه في النار حتى يكون ضرسه مثل أحد"[1].

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾[2] هو رسولهم ﴿ مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾؛ أي: منهم؛ لأن الرسل أرسلوا من[3] قبائلهم وعشائرهم. ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا ﴾أي: أتينا بك يوم القيامة [يا محمد][4] تشهد ﴿ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾أي: على أمتك. ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا ﴾أي: تعليماً وبياناً ﴿ لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ مما يحتاج إليه الناس من أمر دينهم ﴿ وَهُدًى ﴾ أي: إرشاداً من الضلال ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ لمن آمن به و [﴿ وَبُشْرَىٰ ﴾أي][5]: بشارة/لمن أسلم وأخلص التوحيد والعبادة. [٤٢٠]

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾[6] أي: باتباع الحق والعدل فيما بين العبد وبين الله؛ بإخلاص التوحيد [والعبادة][7] فلا يشكر غير المنعم سبحانه، والعدل فيما بين الناس: الإنصاف في المعاملات، وترك الظلم، والتحرز من دماء الناس وأعراضهم وأموالهم. والإحسان: فيما بين العبد

=

حدثني عاصم بن أبي النجود حدثني زر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال (ليسمع للهوام جلبة بين أطباق جلد الكافر كما يسمع جلبة الوحوش في البر، وإن جلده لأربعون ذراعا بذراع الجبار)، وابن المنذر في تفسيره (٧٥٨/٢) عن شيخه موسى قال حدثنا الحكم بن موسى.... به ولفظه (إنه ليسمع للهوام جلبة بين أطباق جلد الكافر كما تسمع جلبة الوحش في البر). أقول: الحكم بن موسى صدوق كما في التقريب (ص١١٥)، وشهاب بن خراش صدوق يخطئ كما في التقريب (ص٢١٠)، وعاصم بن أبي النجود صدوق له أوهام كما في التقريب (ص٢٢٨).

(١) ثبت في صحيح مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب: في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين (مسلم مع النووي ٧١١٤/١٧٦/١٧) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:" ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث " وبرقم (٧١١٥) عن أبي هريرة يرفعه قال:(ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع).

(٢) سورة النحل آية: ٨٩.

(٣) في (ك): إلى.

(٤) ساقط من (ك).

(٥) ساقط من (ك).

(٦) سورة النحل آية: ٩٠.

(٧) ساقط من (ك).

وبين الله تعالى: الطاعات، وفيما بين الناس: البر بهم، والشفقة والرحمة عليهم، ومواساة المحتاج ومساعدة الضعيف، ونحو ذلك من أوصاف الكرام[1]. ﴿ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ أي: مواساة الأقارب وصلة الرحم. وقيل: إعطاء الميراث إلى من يستحقه[2]. ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ ﴾ وهي المعاصي التي تؤذن بنقص الإيمان وضعف المروة؛ كالزنا ونحوه. [والمنكر: كل ما نهى الله عنه من قول وفعل[3]، ويدخل فيه الشرك فما دونه][4]. والبغي: ظلم الناس والسعي بالفساد ومجاوزة الحد[5]. ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: يذكركم الله ويحذركم لعلكم تتعظون وترجعون إلى طاعته. قال ابن مسعود ﷺ: أجمع آية في القرآن لخيرٍ وشرٍ هذه الآية[6]. وقال ابن عباس ﷺ: العدل: شهادة أن لا إله إلا الله، والإحسان: أداء الفرائض[7]. وقيل العدل: الفرائض والإحسان:

---

(١) في (ك): اللوازم. وهو خطأ.

(٢) قاله مكي (٤٠٧٢/٦).

(٣) وفي اللغة خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب، وخلاف المعروف. انظر معجم مقاييس اللغة (٤٧٦/٥)، ولسان العرب (٢٨٢/١٤) مادة (نكر).

(٤) ساقط من (ك).

(٥) بالاستطالة على الناس والتكبر والحسد. انظر تهذيب اللغة (٢٠٩/٨)، ولسان العرب (٤٥٧/١) مادة (بغى). وقد فسره ابن عباس بالظلم مطلقاً كما في جامع البيان (٦٣٥/٧).

(٦) أخرجه الطبري ٦٣٥/٧، والبخاري في الأدب المفرد باب الظلم ظلمات (ص١٤٠) برقم (٤٩٦)، (٤٩٦)، والطبراني في الكبير (٨٦٥٩/١٣٣/٩). قال ابن حجر في الفتح (٤٧٩/١٠) عن سند البخاري:(صحيح)، وقال الألباني في الضعيفة:(١١٢٦/٤) عن سند الطبراني: (إسناده صحيح). قال ابن العربي (١١٧٣/٣): (أراد ما قال قتادة: إنه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به إلا أمر الله به، ولا من خلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه).

(٧) أخرجه الطبري (٦٣٤/٧) من طريق علي ابن أبي طلحة، وذكره الثعلبي (٣٧/٦). قال ابن عطية (٤٩٤/٨): (وفيه نظر؛ لأن أداء الفرائض هي الإسلام حسب ما فسره النبي ﷺ في حديث سؤال جبريل عليه السلام، وذلك هو العدل، وإنما الإحسان التكميلات والمندوب إليه حسب ما يقتضيه تفسير النبي ﷺ لسؤال جبريل عليه السلام بقوله:" أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " فإن صح هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما فإنما أراد الفرائض مكملة) أي: بما زاد عن حد الإجزاء. والله تعالى أعلى وأعلم.

النوافل[١]. وقيل العدل: الإنصاف[٢]، والإحسان: الفتوة[٣]، والبغي: الظلم[٤]. وقال سفيان [بن][٥] عيينة[٦]: العدل: أن يكون ظاهرك حسناً [وباطنك مثله، والإحسان زائد: أن يكون ظاهرك حسناً][٧] وباطنك أحسن منه. والفحشاء: أن يكون الظاهر حسناً والباطن قبيحاً[٨]. وقد وقد فسر النبي ﷺ الإحسان: بـ[٩]"أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[١٠].

---

(١) ذكره القرطبي (٤١٢/١٢)، وابن حجر في الفتح (٤٨٠/١٠)، والعيني في العمدة (٢٤٧/٣٢).

(٢) ذكره ابن حجر في الفتح (٤٨٠/١٠).

(٣) هكذا في كلا النسختين، ولم أقف على من قال به، ويحتمل التحريف من [العفو] وقد ذكر ابن الجوزي الجوزي (٣٥٣/٤) عن ابن عباس من طريق الضحاك أن معنى الإحسان العفو. والله تعالى أعلى وأعلم.

(٤) انظر الهامش (٣) (ص٥٥).

(٥) ساقط من (ك).

(٦) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، مولى محمد بن مزاحم أخي الضحاك بن مزاحم، أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي، ولد بالكوفة في سنة ١٠٧هـ، روى عن عمرو بن دينار، وابن شهاب الزهري، وهشام بن عروة وغيرهم، روى عنه الشافعي، وعبد الله بن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم، من مؤلفاته: جوابات القرآن، مات في جمادى الآخرة سنة ١٩٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٥٤/٨)، وطبقات المفسرين للداودي (١٩٦/١-١٩٨)، وطبقات المفسرين للأدنوي (ص٢٣).

(٧) مابين المعقوفين ساقط من (ك).

(٨) ذكره الطبري (٦٣٥/٧)، والثعلبي (٣٧/٦).

(٩) ساقط من (ك).

(١٠) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ (البخاري مع الفتح ٥٠/١١٤/١) ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله (مسلم مع النووي ٩٧/١١٥/٢). أقول: وكل ما تقدم يشمله لفظ العدل والإحسان ولو بضرب من التأويل. والأقرب هو تفسير اللفظ بعموم المعنى اللغوي ليكون شاملاً لكل ما يحتويه اللفظ من معاني، قال الشوكاني (٢٩٥/٣):(والأولى تفسير العدل بالمعنى اللغوي وهو التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط فمعنى أمره سبحانه بالعدل؛ أن يكون عباده في الدين على حالة متوسطة ليست بمائلة إلى جانب الإفراط، وهو الغلو المذموم في الدين، ولا إلى جانب التفريط؛ وهو الإخلال بشيء مما هو من الدين، وأما الإحسان فمعناه اللغوي يرشد إلى أنه التفضل بما لم يجب؛ كصدقة التطوع، ومن الإحسان فعل ما =

﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ ﴾[1] [أي: إذا عاهدتم][2]: أحداً وحلفتم له بالله على شيء فوفوا به، [﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا ﴾] ولا تخلفوا ما عاهدتم عليه فتنقضوا الأيمان بعد أن[3] وكدتموها؛ أي: قويتموها بالحلف بالله والتزمتموها. ﴿ وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا ﴾ أي: ضامناً ملازماً يطالبكم بالوفاء، وهو عليم بما فعلتم من عهد وغيره، وهذا عام في كل عهد التزمه[4] الإنسان بينه وبين الله أو بينه وبين الناس. وسبب نزول الآية: أن العرب كانوا يتحالفون، فتحالف طائفةٌ [طائفةً][5] أخرى على النصرة والموافقة، ثم إذا وجدت إحدى الطائفتين طائفة أخرى أكثر/عدداً وأقوى من حلفائهم نقضوا الحلف وحالفوا الأكثرين وهو قوله: ﴿ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٖۚ ﴾[6] فنهى الله عن نقض العهد مطلقاً[7]. وقيل: هي[8] أمر لمن بايع النبي ﷺ أن يثبت على الإيمان فلا يغيره بما يرى من كثرة المشركين[9].ثم ضرب الله مثلاً لنقض [٤٢١]

=

يثاب عليه العبد مما لم يوجبه الله عليه في العبادات وغيرها...) والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) سورة النحل آية: ٩١.

(٢) زيادة من (ك).

(٣) في (ك) ما.

(٤) في (ك) التزم.

(٥) ساقط من (ك).

(٦) سورة النحل آية: ٩٢.

(٧) أخرجه الطبري (٦/٦٣٨-٦٣٩) عن مجاهد من طريق ابن أبي نجيح، وعن ابن زيد (٧/٦٣٦)، ونسبه إليه النحاس (٤/١٠٣) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وذكره السمرقندي (٢/٣٠٤) وغيرهم.

(٨) في (ك): هو.

(٩) قاله بريدة؛ أخرجه الطبري (٧/٦٣٦)، وذكره الثعلبي (٦/٣٨)، ومكي (٦/٤٠٧٥) وغيرهما، ويرجح هذا القول اللحاق في قوله في الآية الثانية ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ على أن الآية مؤكدة للسابقة، وأشار إلى ترجيحه بهذا الطبري (٧/٦٤٠) وغيره، بيد أن الرازي (٧/٢٦٦) والشوكاني (٣/٢٦٤) – ونقله عن الواحدي– يرون أن الآية الثانية إنما هي في نقض أيمان مخصوصة وهو عهد المبايعة للنبي ﷺ دون الأولى، ويرون أن الأولى عامة في العهود وعامة في الأيمان. والأقرب العموم فالآية =

العهد بنقض الغزل فقال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾أي: من بعد أن غزلته قوياً جيداً فتجعله ﴿أَنكَٰثًا ﴾جمع نِكْث بكسر النون وهو المنقوض[1]. وهذه المرأة التي ضرب الله بها المثل امرأة حمقاء، تسمى ريطة بنت سعد[2]، كانت تجلس عند الحِجْر فتغزل نصف النهار جوّانيّاً ثم تفتله برّانيّاً[3] بقية النهار[4]. وقيل: هو مثل لم يُقْصَدْ به امرأةٌ بعينها[5]. ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ ﴾ أي: فساداً وغروراً؛ وهو أن يعاهد الرجل وهو ينوي الغدر فيغدر من عاهده بأَمْنِهِ إليه[6]. ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾[أي][7]: ينقضون[8] الحلف لأجل كثرة العدد والأموال[9]. ﴿ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ﴾أي: يختبركم بما أمركم به ﴿ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾اختلافكم فيبين صواب المؤمنين بحسن

=

شاملة لكل عهد يلتزمه الإنسان ما لم يخالف الشرع وإن كان من عهود الجاهلية حيث جاء الإسلام بتوثيقها كحلف الفضول ونص على العموم جمع منهم الطبري (٦٣٦/٧)، والثعلبي (٣٨/٦)، والبغوي (٣٩/٥)، وابن عطية (٤٩٨/٨)، والرازي (٢٦٣/٦) وغيرهم. والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) انظر مجاز القرآن (٣٦٧/١)، ومعاني القرآن للزجاج (١٧٧/٣)، وبحر العلوم (٣٠٣/٢).

(٢) سماها الفراء (١١٢/٢)، والسمرقندي (٣٠٣/٢)، والأدكاوي في ترويح أولي الدماثة ٢٧٦/١ عن السهيلي، وعن البلنسي (حطية) وعزاه للمهدوي وغيره. وقيل في اسمها غير هذا.

(٣) في (ك) بزانياً. والمراد بجواني الشيء باطنه وبرانيه خارجه مأخوذ من جو البيت، وجو كل شيء بطنه وداخله وهو الجوة بالهاء. انظر تهذيب اللغة (٢٢٩/١١) مادة (جو)، والنهاية لابن الأثير (٣٠٧/١)، ولسان العرب (٤٣٠/٢) مادة (جوا).

(٤) أخرجه الطبري (٦٣٧/٧) عن عبد الله بن كثير والسدي ولم يذكرا اسم المرأة.

(٥) قاله قتادة وابن زيد فيما أخرجه عنهما الطبري (٦٣٨/٧)، ونسبه ابن عطية (٥٠٠/٨) لمجاهد وقتادة.

(٦) انظر تفسير الطبري (٦٣٨/٧).

(٧) ساقط من (ك).

(٨) في (ك): فينقضون.

(٩) فـ(أربى) أفعل من الزيادة والعلو والكثرة. انظر معجم مقاييس اللغة (٤٨٣/٢) مادة (رَبِئَ)، والمفردات ص١٩٣ مادة (ربو).

الثواب ويظهر خطأ الكافرين بسوء العذاب.

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ ﴾[1] كلكم مؤمنين؛ لأنه قادر على خلق الإيمان في قلوب جميعكم.

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ ﴾[2] أي: فساداً وخديعةً. ﴿ فَتَزِلَّ ﴾ أقدامكم عن الصواب بعد أن تثبت عليه. والعرب تقول لكل من فعل سوءاً ووقع في مصيبة: قد زلت قدمه[3] فهو استعارةٌ[4]. ﴿ وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ ﴾ أي: العذاب في الآخرة بصدكم الناس عن الإيمان. وقال قوم: قوم: إن هذه الآية عامة في العهود والأيمان[5] ثم نسخ منها حكم اليمين جواز الكفارة المذكورة في المائدة[6].

---

(١) سورة النحل آية: ٩٣.

(٢) سورة النحل آية: ٩٤.

(٣) انظر مجاز القرآن (٣٦٧/١)، وجامع البيان (٦٤٠/٧)، والكشف والبيان (٣٩/٦).

(٤) للمستقيم الحال يقع في شر عظيم ويسقط فيه؛ لأن القدم إذا زلت نقلت الإنسان من حال خير إلى حال شر. انظر المحرر الوجيز (٥٠٤/٨). والاستعارة: ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له المشابهة. انظر: الإيضاح للخطيب القزويني (ص٢٤٠)، والتبيان في البيان لشرف الدين الطيبي (ص٣٧٧)، وعقود الجمان للسيوطي (ص٩٢)، وفيض الفتاح على نور الأقاح لسيدي عبد الله العلوي (١٤٥/٢).

(٥) وبه قال أبو حيان (٥٣٢/٥).

(٦) في قوله تعالى ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ ... ﴾ الآية: ٨٩. ذكره مكي (٤٠٧٥/٦). والخلاصة:

- ذهب بعض المفسرين إلى أن كلا الآيتين إنما هي في أيمان العهود المقترنة بها وأن الموضع الثاني مؤكد للأول أو مبين للمراد بالعهد في الأول كما أشار إليه ابن جرير عن بعضهم ٦٣٦/٧، والزمخشري (٣٤٢/٢).
- وذهب آخرون إلى أن الأول في أيمان العهود بدليل ﴿ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ والثانية عامة في أيمان العهود ومقاطع الحقوق ونحوهما كأبي حيان (٥٣٢/٥).
- وذهب بعضهم إلى العموم في الأولى؛ في العهود وفي الأيمان والثانية في خصوص البيعة كالرازي (٢٦٦/٧)، والشوكاني (٢٦٤/٣)، والواحدي فيما نقله عنه الشوكاني. والله تعالى أعلى وأعلم.

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[1] أي: لا تنقضوا العهد لأجل عرض من الدنيا، فإن الذي عند الله من الثواب في الآخرة لمن وَفَّى بعهده ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ من عرض الدنيا. لو ﴿ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك .

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ﴾[2] أي: يفنى ويفرغ ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ من الثواب الجزيل ﴿ بَاقٍ ﴾ [لكم][3] فإنه نعيم الجنة لا انقضاء له. ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ﴾ أعمالهم دون أشوبها؛ يجازون بالحسنات، وتغفر لهم السيئات.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا /[مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ] ﴾[4] أي: من آمن بالله وأطاعه من الرجال والنساء [٤٢٢] والنساء ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ أي: نجعل العاقبة له وننصره ونوسع عليه رزقه، وكذلك فَعَلَ الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة بعد أن كانوا في ضيق وقلة وخوفٍ ففتح عليهم ونصرهم وملكهم بلاد أعدائهم وأموالهم. قال ابن عباس ﷺ: الحياة الطيبة؛ الرزق الحلال[5]. وقال علي ﷺ: هي القناعة[6]، وقال الضحاك: هي التوفيق وتيسير الطاعات إلى الممات[7]،[وقيل: هي حلاوة الطاعات][8] ولذة المناجاة[9]. وقال الحسن وقتادة: الحياة الطيبة في الجنة[10]. وروى أبو صالح[1]: أن قوماً من مللٍ

---

(١) سورة النحل آية: ٩٥.

(٢) سورة النحل آية: ٩٦.

(٣) ساقط من (غ).

(٤) سورة النحل آية: ٩٧.

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢٧٧/١)، والطبري (٦٤١/٧)، ونسبه إليه الماوردي (٢١٢/٣). أقول: رواه الطبري عن شيخه أبي السائب سلم بن جنادة عن أبي معاوية محمد بن خازم عن إسماعيل بن سميع عن أبي مالك غزوان الغفاري عن ابن عباس وسنده متصل ورجاله يحتج بهم. والله تعالى أعلى وأعلم.

(٦) أخرجه الطبري (٦٤٢/٧)، ونسبه إليه السمرقندي (٣٠٥/٢) والماوردي (٢١٢/٣). وهو عند الطبري من طريق سليمان التمار عمن ذكره عن علي ﷺ.

(٧) بلفظ مقارب ذكره الماوردي (٢١٢/٣)، وبمعناه القرطبي (٤٢٤/١٢).

(٨) ساقط من (ك).

(٩) ذكره الثعلبي (٤٠/٦)، والبغوي (٤٢/٥)، والقرطبي (٤٢٤/١٢) دون الجملة الأخيرة ونسبوه لأبي بكر الوراق.

(١٠) أخرجه الطبري (٦٤٢/٧) عن محمد بن بشار عن هوذة بن خليفة عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن الحسن، ومن طريق ابن أبي عروبة عن قتادة. أقول ولم أقف على من نص على رواية =

مختلفةٍ[٢] تفاخروا؛ فنَزلت هذه الآية[٣]، فبين الله تعالى أن العبادات والصدقات لا تقبل إلا ممن آمن بالله ورسوله واليوم الآخر، وفي الآية دليل على أن الإيمان هو التصديق بالقلب .

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[٤] أي:[إذا][٥] أردت القراءة، مثل قوله ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[٦] أي: إذا أردتم القيام [إلى الصلاة][٧]. ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ أي: استجر به واسأله أن يجيرك من وسوسة الشيطان الرجيم؛ وهو إبليس، ومعنى الشيطان: المبعد من الخير[٨]، [وقيل: الهالك][٩]، و﴿ ٱلرَّجِيمِ ﴾المرجوم[١٠]، وقيل: المشتوم[١١]، وقيل: المهلك بأقبح وجه[١]، وقيل: المطرود[٢]. وكان

=

ابن بشار عن هوذة، وهوذة صدوق وعوف ثقة رمي بالقدر والتشيع. قال ابن كثير (٦٠٧/٢):(والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله).

(١) باذام بالذال المعجمة، ويقال آخره نون، مولى أم هانئ، روى عن عبد الله بن عباس، وعكرمة مولى ابن عباس، وعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة، ومولاته أم هانئ، وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي وغيرهما. ضعيف في الحديث. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٧/٥)، وتهذيب الكمال للمزي (٦/٤)، وتقريب التهذيب لابن حجر (ص٥٩)..

(٢) في (ك) متفرقة.

(٣) أخرجه الطبري (٦٤٤/٧) من طريق عبد الوهاب بن وكيع وهو ضعيف، ونسبه إليه الثعلبي (٤٠/٧) وابن الجوزي (٣٥٦/٤) وغيرهم.

(٤) سورة النحل آية: ٩٨.

(٥) ساقط من (غ).

(٦) سورة المائدة آية: ٦.

(٧) ساقط من (ك).

(٨) وعليه فهو من (شطن) بمعنى بعد. انظر معجم مقاييس اللغة (١٨٣/٣)، وتهذيب اللغة (٣١٢/١١)، والمفردات للراغب (ص٢٦٤) مادة (شطن).

(٩) ساقط من (ك). وعليه فهو من (شاط) بمعنى هلك واحترق. انظر تهذيب اللغة (٣١٢/١١)، والصحاح (١١٨٣/٣).

(١٠) فعيل بمعنى مفعول. انظر تهذيب اللغة (٦٩/١١)، وتاج العروس (٣٠٤/٨) مادة (رجم).

(١١) ومنه حكاية الله قول أبي إبراهيم لإبراهيم ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ [مريم آية:٤٦]. انظر: تهذيب اللغة (٦٨/١١)، والمفردات للراغب (ص١٩٧) مادة (رجم).

وكان النبي ﷺ يبتدئ القراءة فيقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[٣].

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ ﴾[٤] أي: لا قدرة له ﴿ عَلَى ﴾إفساد إيمان ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[٥] الذين جعل الله في قلوبهم الإيمان والتوكل؛ وهم الذين رضي الله عنهم وأحبهم وحفظهم. وإذا وسوس لهم الشيطان حماهم عن متابعته. قال سفيان: ليس للشيطان سبيل أن يوقعهم في ذنب لا يغفر وهو الشرك[٦].

﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ ﴾[٧] أي: إنما سلط الله إبليس في إفساد الاعتقاد على [الكفار][٨] الذين غضب الله عليهم وأبعدهم؛ فهم ﴿ يَتَوَلَّوْنَهُۥ ﴾[أي][٩]: إبليس [أي][١٠]: يتخذونه ولياً وناصراً ويوافقونه. و﴿ هُم بِهِۦ ﴾ أي: بعبادته[١١] ﴿ مُشْرِكُونَ ﴾ وقيل تقديره: الذين هم من أجله مشركون[١٢].

=

(١) انظر: المفردات للراغب (ص١٩٦)، وبصائر ذوي التمييز للفيروزابادي (٤٤/٣). ومن أقبح القتل أن يعذب الإنسان في قتله.

(٢) انظر المصادر السابقة هامش (١٠، ١١) (ص٦١).

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ فسبحان من لا يخفى عليه شيء.

(٤) سورة النحل آية: ٩٩.

(٥) ساقطة من (غ).

(٦) أخرجه الطبري (٦٤٥/٧) بقوله: حدثت عن واقد بن سليمان عن سفيان... ولم يذكر شيخه. وذكره ابن الجوزي (٣٥٨/٥) دون نسبة، والقرطبي (٤٢٦/١٢) ونسبه لسفيان.

(٧) سورة النحل آية: ١٠٠.

(٨) ساقط من (ك).

(٩) ساقط من (غ).

(١٠) ساقط من (ك).

(١١) وعليه فالكناية لله سبحانه وتعالى.

(١٢) كما تقول صار فلان بك عالماً؛ أي: من أجلك وبسببك، فالكناية للشيطان. انظر معاني القرآن للنحاس (١٠٥/٤)، والكشف والبيان (٤٢/٦)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (ص٤٠١). وقال بهذا القول ثعلب كما في ياقوتة الصراط (ص٣٠١-٣٠٢) لأبي عمر البغدادي، وابن قتيبة كما في النكت والعيون (٢١٣/٣)، وابن الجوزي ٣٥٨/٥، والربيع بن أنس كما في الجامع لأحكام القرآن =

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾[1] أي: وإذا نسخنا آية بآية أخرى؛ إما بتغيير لفظ أو بتغيير حكم ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ /أَنتَ مُفْتَرٍ ﴾ أي: كاذب ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾[2] أي: [٤٢٣] أعلم بمصلحة عباده، ينسخ ما شاء تخفيفاً[3] وتيسيراً وزيادة في الأجر وتكثيراً. وهذه الآية مثل قوله تعالى ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾[4].

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ ﴾[5][و][6]هو جبريل عليه السلام من عند الله. ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: بالصحيح الثابت من وعدٍ ووعيدٍ وأمر ونهي ﴿ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي: يقوي إيمانهم ويزيد تصديقهم إذا آمنوا بالناسخ والمنسوخ.

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ﴾[7] أي: علم الله أن المشركين يقولون ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ ﴾ أي: [إنما][8] يعلم محمداً هذا الذي يتلوه ﴿ بَشَرٌ ﴾من الناس؛ قيل: عنوا به سلمان الفارسي رضي الله عنه[9]؛

=

(٤٢٦/١٢). أقول: والكناية وإن كانت تصح في عودها لله سبحانه وتعالى ويستقيم المعنى إلا أن عودها للشيطان أقرب لتوحيد مرجع الضمير في السياق الواحد مع استقامة المعنى والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) سورة النحل آية: ١٠١.

(٢) هكذا في كلا النسختين تقديم ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ ﴾ على ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ على خلاف ترتيب الآية.

(٣) هذه اللفظ ونصف تاليه مطموس في (ك).

(٤) سورة البقرة آية: ١٠٦.

(٥) سورة النحل آية: ١٠٢.

(٦) زيادة من (ك).

(٧) سورة النحل آية: ١٠٣.

(٨) ساقط من (ك).

(٩) أخرجه الطبري عن الضحاك (٦٤٩/٧)، وذكره النحاس من طريق علي بن الحكم عن الضحاك (١٠٦/٤)، والماوردي (٢١٥/٣). أقول: ويضعف هذا القول أن سلمان لم يسلم إلا بعد الهجرة. انظر المحرر الوجيز (٥١٠/٨)، وزاد المسير (٣٦٠/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٠٨/٢).

قالوا هو الذي يعلم محمداً، وقيل: عنوا به عبداً أعجمياً اسمه بلعام كان أسلم[1]. وقيل: [عنوا][2] [عنوا][2] به يعيشَ[3] غلاماً لبني المغيرة[4]. وقيل: كان اسمه جبراً[5]، فرد الله تعالى عليهم بأن القرآن عربي، والبشر الذي ذكروه أعجمي اللسان؛ فكيف يعرف هذا القرآن وقد عجز فصحاء العرب عن معارضته؛ فقال تعالى ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ ﴾أي: يميلون إلى الكذب بقولهم فيه أنه يعَلِّمُ محمداً، ﴿ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا ﴾القرآن ﴿ عَرَبِىٌّ ﴾مُفْصِحٌ يُبِينُ معاني جميع الكتب؛ فمن أين لأحدٍ من الخلق قدرة على مثل هذا؟!.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ ﴾[6] أي: لا يرشدهم إلى صواب يعتقدونه ولا ولا ينطقون به؛ فلذلك نسبوا محمداً ﷺ إلى الافتراء.

[و][7]﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِى ٱلۡكَذِبَ ﴾[8]هم؛ لأنهم[1] اتخذوا مع الله شركاء؛ فهم

---

(١) أخرجه الطبري عن ابن عباس (٦٤٨/٧)، ونسبه الثعلبي (٤٣/٦) لابن عباس، والماوردي (٢١٤/٣) لمجاهد. قال السيوطي في لباب النقول (ص١٣٤) عن سند ابن جرير: ضعيف.

(٢) ساقط من (ك).

(٣) أخرجه الطبري (٦٤٨/٧) عن سفيان، والنحاس (١٠٦/٤) ويفهم منه أنه من كلام عكرمة لا من من بيان سفيان كما عند الطبري، وذكره الثعلبي (٤٣/٦) ونسبه لعكرمة وقتادة.

(٤) أخرجه الطبري عن عكرمة (٦٤٨/٧).

(٥) في كلا النسختين (خير) وفيه أمران:

- من جهة الإعراب خطأ إلا إذا حملناه على لغة ربيعة وهو الوقف على المنصوب المنون بالسكون.
- غالب المصادر على أن اسمه (جبر) بالموحدتين من تحت في الحرفين الأولين. والله تعالى أعلى وأعلم.

أقول: وتعدد الأسماء لا يلزم منه التناقض؛ إذ يجوز أن يكونوا أومؤوا إلى هؤلاء جميعاً، فالكل محتمل – إلا في حق سلمان فلا يتأتى – ذلك أن النبي ﷺ ربما جلس إليهم في أوقات مختلفة يعلمهم مما علمه الله ويدعوهم بدعوة الإسلام. والخلاصة: ثبوت قالتهم أنه يتعلم من غيره ثم يظهرها من نفسه ويزعم أنه إنما عرفها بالوحي. انظر معاني القرآن للنحاس (١٠٦/٤)، والتفسير الكبير (٢٧١/٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤٣٠/١٣).

(٦) سورة النحل آية: ١٠٤.

(٧) زيادة من (غ).

(٨) سورة النحل آية: ١٠٥.

﴿ٱلْكَٰذِبُونَ﴾وليس محمدٌ بكاذب فتقدير الكلام: إنما يكذب على الله من كفر به وهؤلاء كفار فهم كاذبون؛ فلذلك كرر ذكر الكذب.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾[٢] أي: من ارتد عن الإسلام وهذا ابتداء [كلامٍ][٣] وخبره ﴿فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[٤]. ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ أي: الذين عذبهم المشركون حتى نطقوا بكلمة الكفر كرهاً وقلوبهم مطمئنة ﴿بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ أي: ساكنة بالتصديق لم تتحرك إلى الكفر فهؤلاء معفوٌّ عنهم. ونزلت في الذين كان المشركون يعذبونهم ليفتنوهم وهم: عمار بن ياسر، وأبو لبابة[٥]، وخباب بن الأرت، وسلمة بن هشام[٦]/، والوليد بن الوليد، وعياش بن أبي ربيعة[٧]، والمقداد بن الأسود[١]، وبلال [بن [٤٢٤]

=

(١) في (ك): الذين.

(٢) سورة النحل آية: ١٠٦.

(٣) ساقط من (ك).

(٤) فـ﴿مَن﴾ يصح أن تكون شرطية في محل رفع مبتدأ، أو موصولة وصلتها ما بعدها، وهل جوابها وخبرها محذوف يدل عليه ما بعد ﴿مَّن﴾ الثانية أو أن الجواب والخبر واحد للفظين؛ خلاف. انظر البحر المحيط (٥/٥٣٩-٥٤٠)، والدر المصون (٧/٢٨٨- ٢٩٠).

(٥) قيل: اسمه بشير، وقيل: رفاعة بن عبد المنذر بن زبير بن زيد بن أمية بن الأوس الأنصاري، كان أحد النقباء ليلة العقبة، روى عنه وَلَدَاه السائب وعبد الرحمن وعبد الله بن عمر ﷺ، وولده سالم وغيرهم. قيل: مات ﷺ في خلافة علي ﷺ، وقيل: عاش إلى بعد الخمسين. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٦٧-١٦٨)، والإصابة لابن حجر (٤/١٦٧).

(٦) هو سلمة بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، من مهاجرة الحبشة، الحبشة، من خيار الصحابة وفضلائهم، كانوا خمسة إخوة: أبو جهل، والحرث، وسلمة، والعاص، وخالد، أسلم سلمة والحرث، ومات ثلاثة على الكفر، قتل ﷺ شهيداً يوم مرج الصفر سنة ١٤هـ في خلافة عمر ﷺ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٢/٨٣)، والإصابة لابن حجر (٢/٦٧).

(٧) واسم أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو عبد الله القرشي المخزومي أخو أبي جهل لأمه، روى عنه ابنه عبد الله، وأنس بن مالك ﷺ، وعبد الرحمن بن سابط وغيرهم، مات ﷺ سنة ١٥ بالشام في خلافة عمر ﷺ، وقيل: استشهد يوم اليرموك، وقيل: مات بمكة. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٣/١٢٢-١٢٣)، والإصابة لابن حجر (٣/٤٧)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١/٣١٦).

حمامة][٢] ﷺ كان المشركون يعذبونهم بأنواع العذاب؛ فمنهم من كان إذا اشتد به الألم نطق بكلمة الكفر؛ ليتركوه، وأما بلال ﷺ فكان لا يزيد على أن يقول أحدٌ أحدٌ؛ فعذبوه حتى اشتراه أبو بكر الصديق ﷺ من أمية بن خلف وأعتقه، وأما سمية أم عمار[٣] – رضي الله عنها – فإن أبا جهل طعنها حين امتنعت من الكفر فقتلها فهي أول شهيدة في هذه الأمة[٤]. ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ أي: ولكن الذي يطيب قلبه بالكفر وينشرح له صدره ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[فمن في قوله ﴿مَن كَفَرَ﴾[٥] وفي قوله ﴿مَّن شَرَحَ﴾مبتدأ وخبرها ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾][٦]. وقيل: ﴿مَن﴾الأولى بدل من الكاذبين المذكورين قبلها[٧]. قال عكرمة والحسن: نزلت في عبد الله بن

=

(١) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة، أبو الأسود، وقيل: أبو عمرو، وقيل: أبو سعيد الكندي البهراني، زوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، شهد بدراً، روى عنه علي وأنس رضي الله عنهما، وعبد الرحمن بن أبي ليلى وغيرهم، مات ﷺ سنة ٣٣، وصلى عليه عثمان ﷺ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٤٥١/٣)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٨٥/١)، والإصابة لابن حجر (٤٣٣/٣).

(٢) ساقط من (غ).

(٣) في كلا النسختين: (عامر) وهو تصحيف.

(٤) أخرجه الطبري عن ابن عباس وقتادة في حق عمار (٦٥١/٧) وقرره الطبري وعممه في حق من عذبوا، وأخرجه به عن الشعبي (٦٥٢/٧)، وذكره مكي (٤٠٩١/٦)، والماوردي عن الكلبي (٢١٦/٣)، وعزا السيوطي قريباً منه في الدر المنثور (١٤٦/٤-١٤٧) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردوية عن ابن عباس. وانظر أسباب النزول للواحدي (ص٣٢٦).

(٥) في (غ) ﴿مَنْ أُكْرِهَ﴾ وهو خطأ.

(٦) ساقط من (ك).

(٧) في قوله تعالى ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ والتقدير ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ﴾ من كفر بالله؛ فيكون ﴿مَن كَفَرَ﴾مفسر ومترجم لـ ﴿ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ وبه قال الزجاج (١٧٨/٣)، والنحاس في إعراب القرآن (٤٠٩/٢)، وابن الأنباري في البيان (٦٨/٢). أقول: وفي هذا التقدير تخصيص بأن من يفتري الكذب هم من كفر بعد إيمانه. وقد رده جمع من أهل العلم كالطبري (٦٥٠/٧- ٦٥١)، وأبي حيان (٥٤٠/٥) وغيرهما؛ ذلك أن واقع الحال يدل على عدم التخصيص وهو أن من يفتري الكذب هم من ارتد بعد إيمانه وغيره. والله تعالى أعلى

=

[أبي][1] سرح[2] كفر بعد إيمانه وقال ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[3] وقال ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾[4].

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾[5] أي: هجروا المشركين من أقاربهم وتركوا دنياهم وأقبلوا على طاعة مولاهم ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ أي: فتنهم المشركون وظلموهم فهي في المستضعفين. ومن قرأ: (فَتَنَوا) بفتح الفاء والتاء[6] فمعناه: من بعد ما كانوا يكفرون ويفتنون الناس عن الإيمان فهي فيمن أسلم من رؤساء المشركين[7]. ويقال: إن الهجرة هنا [هي][8] الهجرة إلى المدينة[9]. ﴿ثُمَّ جَٰهَدُوا﴾في سبيل الله ﴿وَصَبَرُوٓا﴾على المحن في دين الله.

﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ﴾[10] أي: واذكر[يوم تأتي كل نفس][11] ﴿تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾

=

وأعلم.

(١) ساقط من (ك).

(٢) هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث، أبو يحيى القرشي العامري، أخو عثمان ﷺ من الرضاعة، ولي مصر لعثمان ﷺ، وغزا إفريقية، قيل: مات سنة ٥٩هـ، وقال الذهبي: الأصح وفاته في خلافة علي ﷺ. انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٣٣-٣٥)، والإصابة لابن عبد البر (٢/٣٠٩).

(٣) سورة الأنعام آية: ٩٣.

(٤) سورة النحل آية: ١٠٣. أخرجه الطبري (٧/٥٤) عن عكرمة والحسن، ونسب الماوردي (٣/٢١٥-٢١٦) للكلبي أنها نزلت في ابن أبي سرح، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن خطل، وقيس بن الوليد بن المغيرة. وابن الجوزي (٤/٣٦١) لمقاتل وزاد فيه طعمة بن أبيرق وقيس بن الفاكه المخزومي.

(٥) سورة النحل آية: ١١٠.

(٦) وهو ابن عامر الشامي. انظر التيسير للداني (ص١٠٥)، والنشر لابن الجزري (٢/٣٠٥).

(٧) انظر الحجة في القراءات السبعة لابن خالويه (ص٢١٣)، وإتحاف فضلاء البشر للبنا (٢/١٩٠).

(٨) زيادة من (ك).

(٩) لنُزول الآية بعد قراره ﷺ في المدينة كما تقدم أول السورة.

(١٠) سورة النحل آية: ١١١.

(١١) ساقط من (غ).

[أي][1]: يوم يجيء كل إنسان يجادل عن نفسه ولا يتفرغ لغيره؛ وذلك حين يشتد الأمر وتزفر جهنم ولا يبقى أحدٌ إلا خرَّ جاثياً على ركبتيه يقول: لا أملك إلا نفسي، ثم بعد ذلك يقع الحساب ويؤذن في الشفاعة لمن شاء الله.

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ﴾[2] أي: مثل الله لخلقه مثلاً يتعظون به ثم بين [الله][3] المثل فقال: ﴿ قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً ﴾ وهي مكة[4]، كان أهلها في الجاهلية آمنين من الخوف؛ لكونها لا [٤٢٥] يقصدها أحد بأذى ﴿ مُّطْمَئِنَّةً ﴾ أي: أهلها مطمئنين ساكنين[5] لا يسافرون في طلب القوت كما كان الناس ينتجعون؛ لأن الناس كانوا يقصدونها بالمتاجر/من كل مكان طلباً للأمن، وكان من قصدها لا يؤذيه أحد؛ فلذلك كانت أطيب البلاد. ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ﴾ أي: واسعاً هنياً. و ﴿ رَغَدًا ﴾ مصدر في موضع الحال. ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾ أي: فكفر[6] أهلها بنعم الله وأشركوا فأذاقهم الله جوعاً خالط أجسامهم كمخالطة اللباس وخوفاً في نفوسهم من الرعب؛ لعداوتهم[7] للمسلمين. والجوع بدعوة النبي ﷺ عليهم حين قال:" اللهم اجعلها [عليهم][8] سنين كسني يوسف"[9] فابتلاهم الله بالجوع سبع سنين وهو قوله تعالى ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ

---

(١) ساقط من (غ).

(٢) سورة النحل آية: ١١٢.

(٣) ساقط من (ك).

(٤) قاله قتادة؛ أخرجه عبد الرزاق (٢٧٦/٢) والطبري (٦٥٥/٧) عنه وعن ابن عباس ومجاهد وابن زيد، وبه قال الفراء (١١٤/٢)، وعليه أكثر أهل التفسير كما قال السمعاني (٢٠٦/٣)، ويرجحه ما بعده ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ ﴾.

(٥) في (ك): مطمئنون ساكنون.

(٦) في (غ): كفر، وما أثبت أوفق للآية.

(٧) في (ك): لعدوانهم.

(٨) ساقط من (غ)، وقد جاء في رواية عند البخاري دون لفظ (عليهم) وباقي الروايات والتي عند مسلم به.

(٩) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين (البخاري مع الفتح ٦٣٩٣/١٩٤/١١) ومسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة (النووي مع مسلم ١٥٤٠/١٨٢/٥).

﴿ ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾[1] وقوله ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ ﴾[2] وهو الجوع[3]، ويقال: ويقال: الخوف الذي لحقهم بعد هجرة المسلمين إلى المدينة فكانوا في رعب كل ليلة خوفاً من سرايا المسلمين[4]. وأصل الذوق: بالفم ثم يستعار في النيل والإصابة[5]. وكل ضمير للقرية هنا فالمراد به أهلها، يدل عليه قوله ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ فجمع على المعنى[6].

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ ﴾[7] وهو محمد ﷺ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾وهو الجوع والخوف ثم[8] القتل بالسيف يوم بدر[9] ﴿ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ أي: مقيمون على الشرك.

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾[10]أي: كلوا من الأنعام التي أحلها الله [لكم][11] والزروع[12] مما ملكتم بوجه صحيح، ولا تحرموا السائبة والوصيلة[13] ونحوها. ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾

---

(١) سورة الدخان آية: ٥٩.

(٢) سورة السجدة آية: ٢١.

(٣) على أحد الأقوال، وبه قال النخعي ومجاهد كما عند الطبري (٢٤٧/١٠)، ومقاتل كما في زاد المسير (١٧٦/٦).

(٤) قاله الفراء (١١٤/٢)، والطبري (٦٥٦/٧)، والثعلبي (٤٨/٦)، ومكي (٤١٠٣/٦).

(٥) انظر معاني القرآن للنحاس (١٠٩/٤)، وبحر العلوم (٣١٠/٢). أي: لما باشرهم ما ابتلوا به وحصل لهم بسبب ذلك من الهزال والشحوب والخوف الظاهر صار كاللباس لهم.

(٦) كقوله تعالى ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ [الأعراف آية: ١٦٣]، وقوله ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنبياء آية: ١١]، انظر الرسالة للشافعي (ص٦٣).

(٧) سورة النحل آية: ١١٣.

(٨) في (ك): و.

(٩) قاله الطبري (٦٥٦/٧)، ومكي (٤١٠٤/٦).

(١٠) سورة النحل آية: ١١٤.

(١١) ساقط من (ك).

(١٢) في (ك): والزرع.

(١٣) واختلف فيم تكون الوصيلة؛ فمنهم من جعلها في الإبل وفي الشاء، ومنهم من خصصها بالشاء. قال أبو العباس ثعلب (وأجمع الناس كلهم على أن الوصيلة لا تكون إلا في الغنم) كما في ياقوتة =

بأن تعبدوه وحده.

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ ﴾[1] رد عليهم في تحريم السائبة والبحيرة ونحوها.

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾[2] أي: ولا تقولوا لأجل الذي تنطق به ألسنتكم من الكذب ﴿ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ﴾ وهذا رد عليهم أيضاً فيما كانوا يحللون ويحرمون [برأيهم][3] من غير شريعة كالبحيرة والسائبة ونحوها. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ ﴾ أي: يختلقون على الله [كذباً][4]. ﴿ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ أي: لا يدومون في الدنيا، وإنما الذي هم فيه من نعم الله:

﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ﴾[5] في مدة يسيرة ثم يموتون فيذهبون إلى النار ﴿ وَلَهُمْ ﴾ فيها ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

=

الصراط لأبي عمر البغدادي (ص٢١٤)، وقال الأزهري (٢٣٤/١٢):(قال المفسرون: الوصيلة كانت في الشاء خاصة) ثم اختلفوا في وصفها فقيل:

- الشاة إذا ولدت جديين أخذوا واحداً لأنفسهم وذبحوا الآخر للصنم، فإن ولدت جدياً وعناقاً لم يذبحوها ولم يذبحوا أخاها، وقالوا وصلت أخاها.
- الشاة إذا نتجت خمسة أبطن وكان الخامس ذكراً وأنثى حرموا الذكر وقالوا وصلت أخاها فلا يذبح.
- الشاة إذا أتأمت عشر إناث عناقين عناقين ليس فيهم ذكر جعلت وصيلة وجعلوا ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الإناث.
- الشاة تلد سبعة أبطن عناقين عناقين، فإن ولدت في الثامنة جدياً ذبحوه لآلهتهم، وإن ولدت جدياً وعناقاً قالوا: وصلت أخاها فلا يذبحون أخاها من أجلها ولا يشرب لبنها النساء وكان للرجال.

إلى أوصاف أخرى في ذلك. وكيف لا تتعدد طرائق الهَوَى وإبليس قائدهم إلى الهُوَى، فلا عقل يُرْعَى ولا نُهًى تُرْجَى. انظر الاشتقاق لابن دريد (ص٣٥٩)، وياقوتة الصراط لأبي عمر البغدادي (ص٢١٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس للأزهري (ص١٧٢)، وتهذيب اللغة (٢٣٤/١٢)، والمفردات للراغب (ص٥٤٠) مادة (وصل).

(١) سورة النحل آية: ١١٥.

(٢) سورة النحل آية: ١١٦.

(٣) ساقط من (ك).

(٤) ساقط من (ك).

(٥) سورة النحل آية: ١١٧.

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾[1] أي ما بيناه لك /في سورة الأنعام قبل نزول [٤٢٦]
هذه الآية وهو قوله ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾[2] الآية. ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ ﴾ بتحريمنا ذلك عليهم، وإنما هم ظلموا بمعاصيهم فحرمنا عليهم طيبات أحلت لهم.

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾[3] أي: جهلوا فعصوا الله، وكل من عصى [الله][4] فقد جهل ولو كان عالماً[5]. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا ﴾ أي: من بعد توبتهم. ﴿ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾[6] أي: كان إماماً يقتدى به في الخير[7]. وقيل: كان كأمة كاملة لاجتماع خصال الخير فيه[8]، وقيل: كان أول رسالته مؤمناً وحده فكان يقوم مقام أمةٍ، قاله مجاهد[9].وكان إبراهيم عليه السلام أول من اختتن، وأول من ضيف الضيف[10]، وأول من أقام

---

(١) سورة النحل آية: ١١٨.

(٢) سورة الأنعام آية: ١٤٦. قاله قتادة؛ أخرجه عبد الرزاق (٢٧٧/٢)، والطبري (٦٥٩/٧) عنه وعن الحسن وعكرمة، وذكره مكي (٤١٠٨/٦).

(٣) سورة النحل آية: ١١٩.

(٤) زيادة من (ك).

(٥) قريباً من هذا اللفظ قال الفراء (١١٤/٢)، وذكر السمعاني قريباً من لفظه (٢٠٨/٣) ونسبه لأهل لأهل العلم.

(٦) سورة النحل آية: ١٢٠.

(٧) قاله ابن مسعود؛ أخرجه عنه الطبري (٦٦٠/٧)، ونسبه النحاس في معاني القرآن (١١١/٤)، والماوردي (٢١٨/٣) إلى أبي عبيدة والكسائي. وهو أحسن ما قيل في معنى الأمة كما قال النحاس في معانيه (١١١/٤)، والسمعاني (٢٠٨/٣).

(٨) قاله ابن قتيبة كما في بحر العلوم (٣١١/٢)، والبغوي (٥٠/٥).

(٩) بمعناه أخرجه الطبري (٦٦١/٧)، والنحاس (١١١/٤) عن مجاهد من طريق أبي يحيى، وذكره الزجاج (١٨١/٣) ولم ينسبه، والثعلبي (٥١/٦)، والبغوي (٥٠/٥) ونسباه لمجاهد.

(١٠) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠١/٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:" كان أول من ضيف الضيف إبراهيم، وهو أول من اختتن على رأس ثمانين سنة واختتن بالقدوم " قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٢٥/٣٦١/٢): (سند حسن رجاله كلهم =

أقام مناسك الحج، وأول من ضحى، وأول من أقام سنن الفطرة: كقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونحو ذلك[1]. ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ أي: مطيعاً ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الحق.

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾[2] [أي][3]: [لأنعم][4] الله عليه. ﴿اجْتَبَاهُ﴾ أي: اختاره الله واتخذه خليلاً [وأرسله إلى خلقه][5]. ﴿وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أرشده إلى الطريق المستقيم[6].

﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾[7] أي: وأعطيناه عطاء حسناً [في الدنيا][8]. وسماه أجراً[9] كما سمى الصدقة قرضاً؛ كل ذلك تلطف [منه][10] في الخطاب، والذي أعطاه الله في الدنيا هو المراد بقوله ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ فهي كل نعمة أنعم الله بها عليه في دينه ودنياه، فمن ذلك؛ الرسالة، والخُلَّة، وحسن الثناء عليه من جميع الأمم إلى يوم القيامة، وأن الله لم يبعث من بعده رسولاً إلا من ذريته[11]. ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: من الذين صلحت

=

موثوقون). قال ابن عبد البر في التمهيد (٥٨/٢١): (ذكر مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد أنه قال كان إبراهيم أول من ضيف الضيف وأول الناس اختتن وأول الناس قص شاربه وأول الناس رأى الشيب...). وسنده ثقات. والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) لم أقف على التنصيص على باقي ما ذكر من أوليته عليه السلام في سنن الفطرة. فسبحان من لا يخفى عليه شيء.

(٢) سورة النحل آية: ١٢١.

(٣) ساقط من (غ).

(٤) في (ك): أنعم.

(٥) ساقط من (ك).

(٦) في (ك): طريق مستقيم.

(٧) سورة النحل آية: ١٢٢.

(٨) ساقط من (ك).

(٩) في قوله تعالى ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [العنكبوت آية: ٢٧].

(١٠) ساقط من (غ).

(١١) انظر بحر العلوم (٣١٢/٢)، ومعالم التنزيل (٥١/٥)، والنكت والعيون (٢١٩/٣)، وزاد المسير (٣٦٨/٥)، وكل ذلك أعطاه الله وزاده كما قال القرطبي (٤٥٨/١٣). فلفظ ﴿حَسَنَةً﴾ عام يشمل

=

منْزلتهم ورفعت درجتهم، وقيل معناه: [أنه لا ينقص في الآخرة من أجره شيء بما أعطي من النعم في الدنيا][1]، وقيل معناه: وإنه في [أمر][2] الآخرة والعمل لها لمن الصالحين[3].

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ ﴾[4] يا محمد ﴿ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أي: دينه ﴿ حَنِيفًا ﴾ أي: مائلاً عن جميع الملل إلى دين إبراهيم؛ وهو توحيد الله تعالى بإخلاص طاعته.

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ ﴾[5] أي: إنما ألزم الله أحكام السبت لليهود؛ وهم ﴿ ٱلَّذِينَ / ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ فقال بعضهم: أفضل الأيام يوم السبت، وقال بعضهم: يوم الأحد فهم[6] النصارى[7]، [فهدى الله المسلمين إلى أفضل الأيام][8] وهو يوم الجمعة[9]. وكان موسى عليه السلام قد أمر بني إسرائيل أن يتفرغوا للعبادة في الجمعة[10] فاختاروا يوم السبت فأوجبه الله عليهم ثم اختلفوا فيه[11]، واستحله قوم وعظمه قوم[1]، ومسخ الله منهم القردة؛ لأنهم استحلوه، وقيل: إن موسى [٤٢٧]

=

كل ما يصدق عليه في الدنيا.

(١) ساقط من (ك). ذكره مكي (٤١١٢/٦).

(٢) ساقط من (ك).

(٣) ذكره مكي (٤١١٢/٦).

(٤) سورة النحل آية: ١٢٣.

(٥) سورة النحل آية: ١٢٤.

(٦) هكذا في كلا النسختين، والأقرب: وهم.

(٧) انظر تفسير الطبري (٦٦٢/٧)، ومعاني القرآن للزجاج (١٨٢/٣).

(٨) ساقط من (ك).

(٩) ثبت في صحيح البخاري في كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:"نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع؛ اليهود غداً، والنصارى بعد غد" (البخاري مع الفتح ٨٧٦/٣٥٤/٢) وهو عند مسلم في كتاب الجمعة باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (مسلم مع النووي ١٩٧٥/٣٨٠/٦) وفيه من حديث حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ:" هدينا إلى الجمعة وأضل الله عنها من كان قبلنا " (١٩٨٠/٣٨٣/٦).

(١٠) في (ك): يوماً في الجمعة.

(١١) ذكره الفراء (١١٤/٢)، والسمرقندي (٣١٢/٢)، والثعلبي عن الكلبي (٥١/٦)، ومكي =

أمر قومه بتعظيم يوم الجمعة فخالفوه وقالوا: نريد السبت فكتبه الله عليهم[٢].

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾[٣] أي: ادع الناس يا محمد إلى طريق ربك التي رضيها لعباده؛ فادعهم إليها بالقرآن الذي فيه حِكَمٌ بالغة ومواعظ حسنة. وقيل الحكمة: النبوة[٤] والموعظة: القرآن[٥]. ﴿ وَجَٰدِلۡهُم ﴾ أي: وحاج الناس بالحجة التي هي أحسن، ومعناه: بين لهم بتلطفٍ ورفق وحسن خلق؛ فإن ربك يعلم من يهتدي[٦] ومن يضل، وهذا منسوخ بالقتال[٧].

=

(٤١١٤/٦) وصدره بيروى، وابن الجوزي (٣٦٩/٤) وعزاه لابن عباس من طريق أبي صالح.

(١) ذكره الزجاج (١٨٢/٣) وقال: هذا أولى ما جاء في الاختلاف، وصدره بقوله (جاء في التفسير)، ونسبه النحاس (١١٢/٤) من طريق سعيد بن جبير والثعلبي (٥١/٦) لقتادة.

(٢) لم أقف على من قال به أو ذكره، فسبحان من لا يخفى عليه شيء.

(٣) سورة النحل آية: ١٢٥.

(٤) قاله الزجاج (١٨٢/٣)، وذكره الماوردي (٢٢٠/٣)، ونسبه ابن الجوزي (٣٧٠/٤) للزجاج.

(٥) قاله الزجاج (١٨٢/٣)، ونسبه الماوردي (٢٢٠/٣) للكلبي، وابن الجوزي (٣٧٠/٤) لابن عباس من طريق أبي صالح. وقد اختلفت أقوال العلماء في معنى الحكمة والموعظة الحسنة فقد قال الطبري (٦٦٣/٧): (﴿ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ بوحي الله الذي يوحيه إليك وكتابه الذي أنزله عليك ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ يقول وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه وذكرهم بها في تنزيله) وقال ابن عطية (٥٤٥/٨): (﴿ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ الكلام الصواب القريب الواقع في النفس أجمل موقع ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ التخويف والتوجيه والتلطف بالإنسان) وعليه فالأقرب عموم المعنى في كل ما يشمله لفظي الحكمة والموعظة الحسنة والله تعالى أعلى وأعلم.

(٦) في (ك) من هو مهتدي.

(٧) ذكره مكي في الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (ص٣٣٦) وصدره بقيل، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (٤٩٦/٢)، ونسبه مكي (٤١١٥/٦) إلى جماعة من العلماء، وابن الجوزي في نواسخه إلى كثير من المفسرين. قال ابن عطية (٥٤٦/٨): (وأما من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ويرجى إيمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة إلى يوم القيامة، وأيضاً فهي محكمة في جهة العصاة، فهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة). وقال ابن الجوزي في نواسخ القرآن (٤٩٦/٢):(وفيه بعد [أي القول بالنسخ] لأن المجادلة لا تنافي القتال، ولم يقل له: اقتصر على جدالهم فيكون المعنى جادلهم فإن أبوا فالسيف فلا يتوجه النسخ). والله تعالى أعلى وأعلم.

﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ ﴾[1] أي: وإن آذاكم المشركون فقاتلوهم بما فعلوا من غير زيادةٍ. وروي أن النبي ﷺ وقف على عمه حمزة رضي الله عنه حين قتل يوم أحدٍ وكان المشركون قد مثلوا به؛ فعزم على أن يمثل بسبعين رجلاً منهم فنزلت هذه الآية[2]. وهذا حين كانوا لا يقاتلون إلا من قاتلهم؛ وهو قوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ ﴾[3] ثم نسخ ذلك بقوله تعالى ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾[4] وقيل: هي محكمة في المساواة في القصاص بين المسلمين[5]؛ مثل قوله تعالى ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ

---

(١) سورة النحل آية: ١٢٦.

(٢) انظر: هامش (٤) (ص١).

(٣) سورة البقرة آية: ١٩٠.

(٤) سورة التوبة آية: ٥. أخرجه الطبري (٦٦٥/٧) عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، ونسبه الثعلبي (٥٢/٦) وابن الجوزي في نواسخ القرآن (٤٩٦/٢) والبغوي (٥٤/٥) لابن عباس والضحاك.

(٥) وبه قال النخعي وابن سيرين والشعبي والثوري؛ انظر جامع البيان (٦٦٥/٧) ونواسخ القرآن (٤٩٧/٢) – وجوزه الزجاج (١٨٢/٣)– والكشف والبيان (٥١/٦). وذهب السمرقندي ٣١٣/٢ إلى أنها نزلت في شأن حمزة ثم هي عامة في كل قصاص بالمثل والعفو أفضل. أقول: الأقرب ما دل عليه ظاهر الآية وهو أن المعاقبة لمن عوقب تكون بالمثل والصبر عن المماثلة أفضل وعزيمة في حقه ﷺ لقوله ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ قاله الطبري (٦٦٥/٧). وقد أطبق جمهور المفسرين على أن الآية نزلت في شأن حمزة ومن معه ممن مُثِّلَ بهم يوم أحد. ثم اختلفوا هل حكمها باق أو أنه منسوخ؟ الأقرب القول بعدم النسخ لما يلي:

- الآية وإن نزلت في شأن حمزة وفي المعاقبة بالمثل في زمن لم يؤمروا بقتال المشركين كافة إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
- الآية محتملة لقول من قال بالنسخ وأنها في شأن حمزة، وكذلك لمن قال بأنها في شأن القصاص والمظالم، والمعنى القائم بالقول بعدم النسخ مستقيم وصحيح فيقدم القول المقتضي عدم النسخ على القول بالنسخ.
- لا دليل يعضد القول بالنسخ لا من نص الآية ولا من نص آخر، ولا يثبت النسخ إلا بنص من الشارع برفع الأول. والله تعالى أعلى وأعلم. انظر تفسير الطبري (٦٦٥/٧-٦٦٦).

مِّثْلُهَا ﴾[1]. ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ ﴾أي: الصبر خير عند الله من القصاص.

﴿ وَٱصْبِرْ ﴾[2] أي: احتمل إساءة قومك وتكذيبهم ﴿ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾أي: بتوفيق الله وإعانته فمعناه سل الله أن يرزقك الصبر، وإذا صبرت فلا ترى الصبر إلا من الله ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: لا/تتأسف على كفرهم ﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ ﴾أي: لا يضيق صدرك غماً أو [٤٢٨] حزناً لمكرهم أو خوفاً من خديعتهم؛ فإن الله معك بنصره وتأييده.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾[3] محارمه وأحسنوا فأدوا فرائضه فهو معهم بالحفظ والنصرة وهو مع سائر خلقه بالعلم والقدرة.

---

(١) سورة الشورى آية:٤٠.

(٢) سورة النحل آية: ١٢٧.

(٣) سورة النحل آية: ١٢٨.